بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الشريعة
قسم أصول الدين

رسالة ماجستير بعنوان:

(المنهجُ الدعويُ العقليُ للأنبياءِ وخصائصهُ في القرآنِ الكريمِ)

(دراسة عقدية تحليلية)

The Rational Method of The Prophets in preaching and its Characteristics in the Holy Qur an

(Analytic Dogmatic Study)

إعداد الطالب :

محمد نظمي محمد سعد

الرقم الجامعي:(٠٧٢٠١٠٥٠١١)

إشراف الدكتور:

بهجت عبد الرزاق الحباشنة

الفصل الدراسي الثاني

٢٠١١/٢٠١٠

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

إهداء

إلى والدتي الحنونه ... التي ربتني صغيراً وتاقت لرؤيتي وأنا على مقاعد الدراسة وطلب العلم،وإلى والدي الذي صبر على تكاليف دراستي لتعلم شرع الله الحنيف،ووفر لي الدعم النفسي والمعنوي.

إلى زوجتي الغالية التي رافقتني في مشوار حياتي العلمي،و خدمتني وضحت من أجلي.

إلى كل أساتذتي وأصدقائي وزملائي الذين قدموا لي النصح والعون،وساعدوني في إنجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة،إلى كل المسلمين المخلصين الذين يجاهدون لإعلاء كلمة الإسلام،أهدي هذا العمل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله الذي جعل القرآن العظيم للدين أساساً،والحديث النبوي الشريف له مصباحاً ونبراسا،والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين،الذي جعل سنته للناس منهاجاً ومقياساً،وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده،وعلى علماء أمته الذين درسوا العلم،وأضحوا معالم الهداية للناس .

وبعد:

فإني أحمد الله تعالى أن وفقني لإنجاز هذه الرسالة وإتمامها على هذا الوجه،فالحمد لله أولاً وآخراً،وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة،الذي تكرم وتفضل بالإشراف على الرسالة،فأسدى لي النصح،ووجهني وصوب أخطائي،فله مني جزيل الشكر.

وحبل الشكر موصول لجامعة آل البيت التي احتضنتني مدة دراستي في المرحلتين البكالوريوس والماجستير.فأسأل الله أن يحفظها.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي، رئيس الجامعة السابق ورئيسها الحالي الدكتور نبيل الشواقفة، وإدارتها والعاملين فيها،وأخص بالذكر كلية الشريعة ممثلة بعميدها الأستاذ الدكتور محمد علي الزغول، وأساتذتها الأفاضل .

وختاماً لا أنسى أن أتقدم بشكري وامتناني لجميع من قدم لي العون والنصح والإرشاد.من أساتذتي الفضلاء،وزملائي الطلاب الكرام، جزاهم الله خير الجزاء ،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العلمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

Contents

ملخص الرسالة ..... ه
تحليل المصادر والمراجع: ..... و
المقدمة: ١
مبررات اختيار الموضوع: ٣
أدبيات الدراسة : ٥
إشكالية الموضوع: ٨
حدود المشكلة : ١٠
منهجية البحث : ١٠
الفصل التمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث ١٤
المبحث الأول : المنهج لغة واصطلاحا ١٥
المبحث الثاني:الدعوة في اللغة والاصطلاح ١٦
المبحث الثالث : العقل لغة واصطلاحاً ١٨
المبحث الرابع: النبي لغة واصطلاحا ٢٤
الفصل الأول:المناهج الدعوية العقلية للأنبياء في القرآن الكريم ٢٦
المبحث الأول : المنهج التحليلي ٣٠
المطلب الأول : في الحجة العقلية ٣١
المطلب الثاني : في الاستدراج العقلي للوصول الى الحق ٣٩
المطلب الثالث : في التحدي بالمعجزات ٤٥
المبحث الثاني: منهج الاحتواء بالرعاية والحب ٤٩
المطلب الأول:احتواء الأفراد والجماعات ٥٠
المطلب الثاني:احتواء المشاكل والأمراض الاجتماعية ٥٧
المبحث الثالث: منهج الترهيب والترغيب ٦١
المطلب الأول: فلسفة الترهيب والترغيب لدى العقل البشري ٦١
المطلب الثاني:نماذج من سير الأنبياء في منهج الترهيب والترغيب ٦٤
المبحث الرابع:منهج التدرج ٦٩
المطلب الأول:في موضوع الدعوة ٧٠
المطلب الثاني: في الشخص المدعو ٧٥
المطلب الثالث: في الأسلوب ٧٧
المبحث الخامس: منهج القدوة الحسنة ٨٠
المطلب الأول:في تطابق الأفعال مع الأقوال ٨١
المطلب الثاني: في الأخلاق الحسنة ٨٥
الفصل الثاني: خصائص المنهج الدعوي العقلي للأنبياء في القرآن الكريم ٩٠
المبحث الأول: الشمولية ٩١
المطلب الأول: الشمولية في حياة الفرد ٩١
المطلب الثاني:الشمولية في حياة المجتمع ٩٤
المبحث الثاني:الواقعية ٩٦
المطلب الأول:في دعوة الناس ٩٨
المطلب الثاني:في تصرف الأنبياء كبشر ١٠٠
المبحث الثالث: التوازن ١٠٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول:بين المتطلبات المادية والروحية..... ١٠٣
المطلب الثاني: بين الخوف والرجاء..... ١٠٦
المبحث الرابع: اليسر..... ١٠٩
تمهيد: ١٠٩
المطلب الأول: في الإدراك والفهم ١٠٩
المطلب الثاني:في التطبيق..... ١١١
الخاتمة ١١٣
التوصيات..... ١١٥
Abstract ١١٦
قائمة المصادر ١١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين،وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

هذه الرسالة تتحدث عن المنهج الدعوي العقلي للأنبياء وخصائصه في القرآن الكريم،وسبب تسمية المنهج الدعوي بالعقلي هو حصر بعض الدعاة العقل في دعوة الأنبياء في المُحَاجة العقلية،والحوار العقلي المباشر،وكأن الجوانب الأخرى من دعوة الأنبياء أهملت الجانب العقلي،لذلك توقفت عند الكثير من الآيات وحاولت استخلاص المناهج العقلية التي اتبعها الأنبياء في الدعوة إلى الله،وبيان كيف أن الأنبياء كانوا يقومون بجهد شخصي في الدعوة إلى الله،واستخدام عقولهم لما فيه المنفعة وكسب المدعو، دون نزول وحي مباشر في كثير من الوقائع التي ذكرها القرآن،وإنما الاعتماد على القواعد العامة التي ذكرها الله عز وجل،والجمع الصحيح بين أسلوب الدعوة ومضمونها،فذكرت في الرسالة الفصل التمهيدي وفيه أهم المصطلحات وتعريفها لغة واصطلاحاً،وقسمت الفصل الأول إلى خمسة مباحث مبيناً في كل مبحث منهجاً عقلياً اعتمده الأنبياء في القرآن الكريم،المبحث الأول المنهج التحليلي،والمبحث الثاني منهج الاحتواء،والمبحث الثالث منهج الترهيب والترغيب،والمبحث الرابع منهج التدرج والمبحث الخامس منهج القدوة الحسنة.

وفي الفصل الثاني من هذه الرسالة تكلمت عن خصائص هذا المنهج الدعوي العقلي للأنبياء،وما تميز به من الشمولية والواقعية والتوازن واليسر،فكان وصفاً عاماً لما ذكر في الفصل الأول،وأهم ما تميز به منهج الأنبياء العقلي في دعوة الناس.

والخاتمة وفيها أهم النتائج،والتوصيات لهذه الرسالة.

والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل المصادر والمراجع:

١_**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،(ت ٣١٠)من الأئمة الأعلام الذين برعوا في علوم كثيرة،وكتابه جامع البيان يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير بالمأثور،وهو تفسير عظيم القيمة،لا غنى لطالب التفسير عنه،وتفسير الطبري أقدم كتاب وصل إلينا كاملاً في التفسير،وطريقة ابن جرير في تفسيره أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول:والقول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا ثم يفسر الآية مستشهداً بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير بالمأثور عنهم،ويرجح بين الروايات،ويقف من السند موقف الناقد أحياناً،ويعتني بذكر القراءات وتوجيهها،ويناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة،ويرد على الفرق والمذاهب المخالفة لأهل السنة.

٢_**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي ت(٥٤٦ ه)،كان فقيهاً جليلاً،عارفاً بعلوم التفسير والحديث،وقد لخص فيه ابن عطية ما روي من التفسير بالمنقول وأضفى عليه من روحه العلمية ما أكسبه الدقة،وقد شهد له الكثير من العلماء بجودة تفسيره منهمابن تيمية.

٣_**تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ت٧٧٤ هـ] كان إماماً جليلاً حافظاً،وشهد له العلماء بغزارة علمه،وكتابه في التفسير من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور،فهو يفسر كلام الله بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها،مع الكلام فيما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً ،وترجيح بعض الأقوال على بعض،وتضعيف بعض الروايات وتصحيح بعضها الآخر،ويمتاز بأنه ينبه في كثير من الأحيان إلى ما في التفسير بالمأثور_وهو ما نقل من أقوال النبي والصحابة في تفسير آيات القرآن الكريم_ من منكرات الإسرائيليات .

٤_**مفاتيح الغيب**، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ت(٦٠٦ ه)،من العلماء المتبحرين الذين نبغوا في العلوم العلوم النقلية والمعارف العقلية،والقارئ لهذا التفسير لا يجد تفاوتاً في المنهج والمسلك،فهو يهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره،ويكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والفلسفية ومباحث الإلهيات على نمط استدلالات الفلاسفة العقلية،ويذكر مذاهب الفقهاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥_**تفسير البحر المحيط**، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت(٧٥٤ ه)،كان على جانب كبير من المعرفة،وكان على علم واسع في التفسير،ويهتم أبو حيان بذكر وجوه الإعراب،ومسائل النحو،وينقل في تفسيره كثيراً من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية.

٦_**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ت(٥٣٨ ه)،كان عالماً فذاً في النحو واللغة والأدب والتفسير،فهو معتزلي الإعتقاد،حنفي المذهب،فهو يأتي في تفسيره بالإشارات البعيدة ليضمنها معنى الآية في الانتصار للمعتزلة والرد على خصومهم،ولكنه في الجانب اللغوي كشف عن جمال القرآن وسحر بلاغته ،فكان مرجعاً لغوياً.

٧_**في ظلال القرآن** ،سيد قطب ت(١٣٨٧ ه)، هو تفسير كامل للحياة في ضوء القرآن الكريم وهدي الإسلام،عاش مؤلفه في ظلال الذكر الحكيم،يتذوق حلاوة القرآن،ويعبر عن مشاعره تعبيراً صادقاً،انتهى فيها إلى أن الإنسانية لا خلاص لها إلا بالإسلام،والرجوع إلى الله هو العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم،ففي منهجه يأتي أولاً بظلاله في مقدمة السورة،تربط بين أجزائها،وتوضح أهدافها ومقاصدها،ثم يشرع بعد ذلك بالتفسير،فيذكر المأثور الصحيح،ويتجه إلى إيقاظ الوعي،وتصحيح المفاهيم،وربط القرآن بالحياة.

٨_**التحرير والتنوير**، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت(١٣٩٣ ه)،عالم من علماء بلاد المغرب،تحلى كتابه بالكثير من الوقفات العلمية المتأملة،وأبدى الكثير من الوقفات التي لم يسبقه إليها أحد،فكان يرجح بين أقوال العلماء،وكان يهتم في بيان وجوه الإعجاز وذكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال فيها،وكذلك كان يبين كل ما أحاط بالسورة من أغراضها،وتبيين المعاني من اللغة،وبيان أوجه الإعجاز فيه.

٩_**كيف نتعامل مع القرآن الكريم**،للشيخ محمد الغزالي ت(١٤١٦ ه)،كانت محاولات كبيرة للشيخ رحمه الله في كيفية أن يصبح القرآن مصدراً للمعرفة والثقافة والتربية،بحيث يكون إطاراً جامعاً،وضابطاً منهجياً لأهل المعرفة،يمكن المسلمين من استرداد دورهم في الشهادة على الناس وقتادتهم إلى الخير،وبمعنى آخر امتلاك القدرة على النظر للنص القرآني من خلال الواقع والمعاناة التي يعيشها المجتمع وتنزيل النص على الواقع، والنظر للواقع والمعاناة من خلال النص القرآني،ومحاولة تقويم الواقع بقيم القرآن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠_ **كيف نتعامل مع السنة النبوية**،للدكتور يوسف القرضاوي، فقد اعتنى ببيان المبادئ الأساسية للتعامل مع السنة المطهرة،-والتي يجب على العقل المسلم أن يوليها عنايته واهتمامه وذلك لأن تحديد أصول الإسلام ومصادره وتوضيح قضاياه،ومناهج فهمها تعتبر الأساس الأهم في بناء العقل المسلم وتصحيح مسيرته-وبيان المعالم والضوابط اللازمة لفهم السنة فهماً صحيحاً،كما تعمد أن يكثر من الأمثلة للموضوعات التي تطرق لها،لتتضح القضية أمام القارئ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين،وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد،وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ومن إتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن الدعوة إلى الله _عز وجل_ ،وإلى التزام أوامره والحث على اجتناب نواهيه هي من أجل الأعمال وأحبها إلى الله لقوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)([1])، هذه المكانة التي وضعها الله _عز وجل_ للدعوة إليه والرفعة والحسن في العمل،لجديرة بالاهتمام من كل فردٍ مسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر،فهي مهنة خير خلق الله ، الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- .

لقد نهج الأنبياء في دعوتهم إلى الله عز وجل منهجا عقلياً رصيناً، فقد تعاملوا مع أقوامهم بطرق وأساليب ونماذج كان لزاما علينا الوقوف عندها،وأخذ القوانين والقواعد التي ساروا عليها، يقول الله عز وجل:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)([2])، يقول الدكتور البوطي (أن كمال العقل لدى الأنبياء من مستلزمات أداء الرسالة التي كلفوا بتبليغها،ولو أمكن أن يكون الرسول ناقصاً في عقله أو ضبطه،أو عدالته مع تكليفه بتبليغ الرسالة المنوطة به لكان ذلك متنافياًمع أصل الرسالة،وهو من العبث المحال على الله)([3]).

ولعل في فهم المنهج الدعوي العقلي للأنبياء في القرآن الكريم الذين هم صفوة خلق الله ،والذين اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغها للناس،وجود المؤهلات العقلية لديهم والتي ندر وجودها في غيرهم،أن يرقى بالمجتمع الإسلامي المعاصر إلى بيان وتحديد الصورة المثلى للقواعد والأسس التي تمكننا من الدعوة والحوار،في ظل التقدم التكنولوجي،الذي أصبح العالم كالقرية الصغيرة ،يمكن الوصول إلى أي شخص في العالم ودعوته إلى الله _عز وجل_.

([1]) سورة فصلت الآية(٣٣)

([2]) سورة يوسف الآية(١١١)

([3]) د.محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، الناشر:دار الفكر-دمشق،الطبعة الثامنة١٩٨٢م،ص٢٠٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمام محمد الغزالي(أن القصص في القرآن أساس التربية،لا التربية النفسية فقط بل العقلية أيضا . .العقل الإنساني ،يجب أن يحرر من قيود الوراثة المخرفة،وأن يكون قادرا على الحركة، بل أرى القرآن يهدف إلى بناء أو إنشاء عقل تجريبي ..عندما يقول تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"(الحج ٤٦) ([1]).

إن عدم فهم المنهج العقلي للأنبياء في الدعوة إلى الله و في اجتهادهم في تطبيقه ، يبقي المسلمين في تخبط لتحديد المنهج العقلي الصواب في الدعوة إلى الله،لأن بعض المسلمين اليوم يعتقدون أن المنهج العقلي في الدعوة لدى الأنبياء خاص فقط بناحية الحجج العقلية للأنبياء،وأن الأنبياء كانت ردود هم على الحجة بالحجة ،ولم يعتبروا باقي الأساليب والوسائل العقلية في الدعوة إلى الله _عز وجل_.

إن الأنبياء قد مثلوا جانب الكمال العملي في الدعوة إلى الله عز و جل،والعقول متباينة في تفكيرها وفي كيفية اختيار منهج عقلي أمثل في الدعوة و عرض الحجة،لذلك يقول الشيخ الغزالي أن(الرسول إنسان كامل،يتصرف في مواجهة الأحداث بالعقل الذي صنعه القرآن،و هو العقل الإنساني الذي تحرك مع مسارات الفطرة)([2]) .

إن المنهج العقلي مطروح في قصص الأنبياء في د عوة أقوامهم،و هو صورة عن التطبيق العملي للقيم الواردة في القرآن الكريم، وبيان الجانب البشري للأنبياء في الاجتهاد العقلي منهم دون نزول و حي من الله عز و جل يخبرهم ماذا يقو لون، وكيف يكون الحوار والجدل والرد على الآخر،فهذا جدير بنا أن نعمل على فهمه الفهم الصحيح ، واستنباط القواعد والأسس التي يمكن من خلالها تكوين الصورة النموذجية للدعوة والدعاة إلى الله تعالى في شتى الأوقات ، ومع كل البشر على وجه الأرض .

([1])محمد الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن**، الناشر:المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية ١٤٢٠ه-١٩٩٩م،ص٨٠

([2]) المرجع السابق، ص(٩٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مبررات اختيار الموضوع:

إن سبب اختيار الموضوع هو أهمية الدعوة باستخدام المنهج العقلي في الدعوة إلى الله عز وجل، في العصر الذي طغت فيه الماديات، وأصبح ديدن الكثير من الناس لا يقبل الطرح الذي يخالف العقل ،وكذلك فإن المنهج العقلي المتبع في الدعوة يعتبر القاسم المشترك المتفق عليه بين العقلاء من البشر.

وكذلك الخلط بين أسلوب الدعوة والاتصال بالآخرين وبين جوهر الدعوة ، وعدم تمييز بعض الباحثين بين المنهج الرباني في الدعوة،والمتمثلة في كتاب الله عز وجل ، هذا المنهج الذي له صفة الكمال ، وبين منهج الأنبياء العقلي المتمثل في الاجتهاد البشري منهم دون نزول وحي يخبرهم ما يقولون،كما عرض في القصص القرآني،وإنما كان منهم الاجتهاد في ظل القواعد العامة التي حددها الله عز وجل فقال تعالى:(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)([1]) ، فكانت الدعوة إلى اللهِ منهم في كثير من الآيات القرآنية ، جهد عقلي خالص دون نزول وحي بذلك،ودليل ذلك ظواهر الآيات القرآنية التي تبين أن الله تعالى يحكي القصة كما وقعت،ولا يوجد دليل من القرآن على أن الله أوحى لنبيه ما يقول تحديداً،علماً أن الكثير من الآيات بدأت ب (قل) مما يدل على أن الكلام موحى من الله،وكان القرآن الكريم قد ذكر ذلك في بيان قصصهم،والذين هم مع بشريتهم إلا أنهم صفوة خلق الله في الإيمان والعمل ورجحان العقل ، فلقد اختارهم الله عز وجل لحمل رسالته ، ولا شك أن اختيارهم كان لصفات يحملونها لم تتحقق في غيرهم ومن أهمها رجحان العقل .

وفي بيان كيف يمكن التمييز بين دعوى الأنبياء لأقوامهم عن طريق الوحي والدعوة عن طريق المجهود العقلي البشري الخالص دون تدخل من الوحي السماوي،لا بد من الاتفاق على محاور أساسية وهي أن الأنبياء يتصرفون في الدعوة إلى الله من جهتين الأولى من جهة الوحي حيث يخبره ماذا يقول، مثال ذلك قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

([1]) سورة النحل، الآية(١٢٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْعَابِدِينَ)([1]) أي قل لهم يا محمد نقلا عن رب العزة ، والثانية من جهة النبي واجتهاده البشري دون تدخل مباشر من الوحي في ذلك،ولكن في بعض الأحيان كان يأتي العتاب مما يدلل على أن التصرف كان باجتهاد بشري محض،بدليل قوله تعالى (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)([2]) يقول الطبري في تفسير هذه الآية (يعرِّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم _صلى الله عليه وسلم_ يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.)([3]) و هذا دليل على أن الأنبياء قد يتصرفون بمحض اجتهاد في أساليب الدعوة،وجذب الناس الى دين الله_عزوجل_ دون تدخل وحي مباشر، وإنما جاء الوحي للتصحيح،وهذا تأكيد على بشريتهم .

فأساس دعوة الأنبياء إلى الله كما هو مبين في القرآن الكريم منها ما هو جهد بشري خالص بدليل قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فهذه هي القاعدة العامة والأساس البين في الدعوة إلى الله،الذي يتجلى من خلال جهد الأنبياء العقلي البحت،وإلا ما فائدة هذا الخطاب الرباني إذا لم يكن للأنبياء اجتهاد بشري عقلي،وكذلك قوله تعالى لموسى _عليه السلام_ عند ذهابه إلى ملاقاة فرعون: (فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)([4]) فما فائدة دلالة القول اللين إذا كان الكلام من الله _عز وجل_، فما كان لموسى عليه السلام إلا أن يأخذ القاعدة العامة من الله _عز وجل_ و هي القول اللين ويطبقها بجهده العقلي،وأسلوبه الخاص، بحيث يتم صياغتها من قبله بما يراه مناسبا في دعوته لفرعون.

من هذه المحاور التي ذكرتها يتبين لي أن الدليل في بيان الفرق ما بين دعوة الأنبياء من خلال وحي السماء،ومن خلال دعوة الأنبياء بالمجهود العقلي البشري دون تدخل للوحي هو ظاهر النص القرآني ، حيث إن السياق القرآني بين وبشكل مباشر أن الدعوة موجهة من الله عز

([1]) سورة الزخرف،الآية(٨١)

([2]) سورة الأنفال،الآية(٦٧)

([3]) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت٣١٠ المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م عدد الأجزاء :٢٤ج١٤ ص٥٨

([4]) سورة طه،الآية(٤٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجل للبشر بصيغة(قل) وكان دور النبي في ذلك دور المبلغ عن الله ، وفي آيات أخرى جاء ظاهر النص القرآني بالدلالة على الحوار الدعوي بين الأنبياء وأقوامهم،دون ذكر أي صيغة تدل على أن الكلام المنقول وحي من الله عز وجل،فيبقى لنا الدليل الظاهري على أن النص اجتهاد بشري دون تدخل من الوحي السماوي كقوله تعالى نقلا عن لسان إبراهيم عليه السلام (إِذ قَالَ لأبيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)([1]) فقد اجتمع في دعوته الحكمة والموعظة الحسنة والقول اللين .

إن المنهج الدعوي العقلي ليس فقط أسلوب دعوة وإقناع ،بل هو منهج جذب للعقول حتى لو لم يكن هناك أي كلام من الداعية،فالمنهج العقلي منهج حياة وتعايش مع الناس.

لذلك فإن دراسة المنهج الدعوي العقلي للأنبياء يختصر على الباحثين الوقت والجهد لبيان القواعد والأسس المثلى في التخاطب والتحاور ودعوة الآخر ،وكيف يمكن توظيف منهج الأنبياء العقلي في دعوة أقوامهم في تحديد منهج وأسلوب الإقناع والتحاور بين المسلمين وغيرهم،وبين المسلمين أنفسهم ،وكيف يمكن الرد على الشبهات التي قد يتخذها البعض في التثبيط في الدعوة الى الله بحجة أن على الداعية البلاغ فقط،استجاب الناس أم لم يستجيبوا ،مع إغفال الأسلوب والطريقة المثلى للدعوة.

أدبيات الدراسة :

وجدت أثناء بحثي عن موضوعي أبحاثا كثيرة تتعلق بموضوع الدعوة ،و منها ما يتعلق بمنهج الأنبياء أذكر منها ***(الخطاب الدعوي للأنبياء والدعاة في القُرآن الكريم دراسة موضوعية)*** رسالة ماجستير من جامعة آل البيت للطالب عبد الرحمن الشريف، كانت تعنى بالجانب التفسيري،ولم تتحدث عن الجانب العقدي في المنهج الدعوي العقلي للأنبياء،وكذلك لم يفرق الباحث بين الخطاب الدعوي الموحى للأنبياء من الله عز وجل ،وبين الخطاب الدعوي العقلي الناتج عن اجتهاد الأنبياء البشري في الدعوة إلى الله عز وجل .

([1]) سورة مريم، الآية(٤٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك وجدت دراسة بعنوان ***(الحجج العقلية لأولي العزم من الرسل)*** للدكتور احمد سليمان عوض، فقد قيد الباحث دراسته في أولي العزم من الرسل مع وجود الخلاف في تحديد أولي العزم بين العلماء،وكذلك لم يفرق الباحث بين المنهج الدعوي العقلي وبين المنهج الرباني الموحى للأنبياء عن طريق الوحي،ولم يبين أهم خصائص المنهج العقلي للأنبياء في الدعوة إلى الله ،ولم يفرق بين الأسلوب في الدعوة والمضمون.

وكذلك كتبت رسالة دكتوراه بعنوان***(خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية والبيانية)***رسالة دكتوراه لعبد الصمد عبد الله محمد ،ولكن لم يعتن في هذا البحث بالجانب العقدي من المنهج الدعوي العقلي للأنبياء ،فكان يركز على الجانب البلاغي .

وكذلك بحث بعنوان (***الحوار في القرآن الكريم –آدابه وفضائله***) للأستاذ إبراهيم خليل فرج، وفي هذا البحث تعرض الباحث الى آداب التحاور في القرآن الكريم ، وهذا ما سنقوم بعرضه بشكل أدق بحيث نفصل بين ما هو موحى من الله عز وجل وما هو اجتهاد بشري ، وكذلك جمع الباحث كل مفردات التحاور ، فجمع تحاور الله عزوجل مع الملائكة وكذلك تحاوره مع الأنبياء وتحاوره مع العصاة والكفرة ، ولم يفصل كل خطاب عن الآخر من حيث محتوياته وخصائصه .

وكذلك كتب بحث بعنوان ***(لغة الحوار في القرآن الكريم)*** للباحث أبو زيد الإدريسي،وكذلك كان هذا البحث في المسائل الفكرية التي تهم الدارس للأمور السياسية المحيطة بالأمة الإسلامية .

وكذلك بحث في(***وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار***) بحث بشكل عام الحوار والدعوة إلى الله في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

إن المتتبع لكل الأبحاث والدراسات لن يجد من يفرق في استنتاجاته بين الدعوة الموحى بها من الله عز وجل وما لها من صفات الكمال،والتي هي بمثابة القوانين العامة التي تحكم الدعوة إلى الله ، وبين دعوة الأنبياء الذين تجسدت فيهم هذه القوانين والقيم الربانية، فكان التفريق بين الأسلوب والمضمون ، وكذلك بين تلك الفوارق التي يتصف بها المنهج الرباني،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين الدعوة التي يتصف بها صفوة البشر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فالأنبياء تجسدت بهم الدعوة العملية من الأفعال والأقوال والأخلاق مع التأكيد على الأصل البشري والصفات التي لا تنفك عنهم، وكيف أن غالب الباحثين إذا ذكر الجانب العقلي في الدعوة اتجه إلى الحجج العقلية والحوار العقلي في القرآن الكريم ،مع أن الدين كله يخاطب العقل من عقيدة وعبادات وأخلاق.

لا شك أن الدعوة التي كانت من الأنبياء أنفسهم أنها دعوة من خير البشر ، هذه الحكمة التي تجلت في كتاب الله العزيز وضعت المنهج الرباني في الدعوة من جهة القواعد العامة للدعوة إلى الله،ووضعت منهج الأنبياء من جهة التنفيذ والتطبيق، لبيان كيف اقتدى خير خلق الله بمنهج المولى سبحانه وتعالى ، وكيف كان التجسيد العملي لواقع الدعوة إلى الله عز وجل من خلال القصص القرآني يتلى في كتاب الله إلى قيام الساعة.

في هذا البحث سنأتي بما هو جديد في الطرح العلمي لموضوع الدعوة إلى الله والاقتداء بالمنهج الدعوي العقلي للأنبياء،وكيف نجمع بين الأسلوب الصحيح والمضمون المناسب ،بماذا ندعو؟ وكيف ندعو؟ ومتى ندعو؟ ،حتى تتجسد فينا سيرة الأنبياء في الدعوة إلى الله ، وبالتالي إنشاء أسس وقواعد يمكن من خلالها توحيد الأمة الإسلامية على منهج كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم المعلمين الأوائل في هذا المجال ،ولكي نغلق الباب على كل من تسول له نفسه التثبيط من إمكانية توحيد الأمة على منهج دعوي عقلي مستفاد من سيرة الأنبياء أنفسهم ، والخروج بآلية عمل إسلامي توحد الأمة على مرتكزات مشتركة في الأصول ومختلفة في الحيثيات والتفاصيل حسب كل حالة .

إن ذكر الله عز وجل لسيرة أنبيائه ومنهجهم في دعوة أقوامهم، دعوة للوقوف عليها واستخلاص القواعد والأسس التي يمكن من خلالها تكوين أرضية مشتركة لدعوة الناس إلى دين الحق ، والاقتداء بصفوة البشر الذين أعطاهم الله عز وجل زمام حمل الدين للبشر ، وتبليغه التبليغ الصحيح لتحقيق مراد الله تعالى بقوله: (رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئلا يَكونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّة بَعْدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)([1]) .

([1]) سورة النساء، الآية (١٦٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إشكالية الموضوع:

عند طرح موضوع الدعوة الى الله يتبادر للأذهان مجموعة من التساؤلات ومنها ، ما هي الطريقة المثلى للدعوة إلى الله في ظل إنفتاح الأمم والثقافات على الأمة الإسلامية ؟ و هل يمكن أن نخاطب بالإسلام مجتمعات غير إسلامية أصلا بالحكم النهائي الذي إستقر عليه، دون تمريرها بمراحل التهيؤ كما هو ممثل في القرآن الكريم ؟ و هل لنا أن نطرح اليوم إمكانية التدرج في التطبيق والتنزيل على الواقع، حيث إننا لا نمتلك التدرج في التشريع؟ وكيف يمكن للعقل في العصر المادي أن يستوعب الخطاب الديني من المسلمين ؟ هل سنرقى بعقولنا إلى أقرب درجات الكمال البشري المتمثل في الأنبياء في الدعوة إلى الله ؟ ألا يكفي أن يكونوا لنا قدوة في أسلوب الطرح والتفكير ؟ وهل هناك ترابط بين الأسلوب الدعوي ومضمون الدعوة ؟ كيف يمكن لنا في ظل الآيات القرآنية وفي منهج الأنبياء وإجتهاداتهم العقلية في الدعوة إلى الله أن نكوّن منها معجما في بيان مفردات الدعوة إلى الله ودستورا يملأ حياتنا علما ومعرفة، وفي تثبيت العقيدة في قلوب الناس بشكل لا يبقي للشيطان مجال ؟

إن وجود الخلل في مجال الدعوة إلى الله لا يخفى على أحد ، فان الناظر إلى الدعاة الى الله في هذا العصر – متمثلين بالعلماء والوعاظ ووسائل الإعلام المرئي والمسموع - ليجد العدد الكبير منهم ينطلق في دعوته إلى الله من غير وعي كامل وإدراك شمولي لمفردات الدعوة إلى الله والمتمثلة بجيلها الأول ،الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم- وكيف كانوا و هم بشر يدعون إلى الله على بصيرة ، لا تشوبها حزبية ،أو طائفية ، أو أي فكر منحرف أو اتجاه معين.

إن منهج الأنبياء العقلي في الدعوة إلى الله يبرز لنا الجانب البشري منهم ، هذا المنهج – على بلوغه أعلى مراتب الكمال – إلا أنه يبقى مقدما من بشر،يعتريهم ما يعتري البشر من الحاجة إلى الأمور الأساسية للحياة،وما لديهم من أحاسيس ومشاعر، فهم قدوة لنا،وهم بشر يمكن لنا كبشر أن نتأسى بهم حتى لو لم نصل إلى مستواهم في الدعوة إلى الله _عز وجل_،وهم كذلك قدوة لنا في التعلم والاجتهاد في الأسلوب الدعوي الذي يتناسب مع الواقع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المتتبع لمنهج الأنبياء العقلي في الدعوة إلى الله،يجد أن الله عز و جل قد أعطى الأنبياء القواعد والأسس العامة في قوله تعالى(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)([1]) فمع مكانة الأنبياء عند الله ، إلا أنه أعطاهم الخطوط العريضة في الدعوة إلى الله ، و ترك لعقولهم مجال التفكير العقلي في مجال الدعوة إلى الله ،كيف يدعون ومتى يدعون والوقت المناسب للدعوة، وهذا تأكيد من الله _عز وجل_ على مكانة العقل ، وقد ترك له مجال التفكير والتمحيص، في الوقت الذي جعل الله لباقي البشر هذه الصفوة من البشر و هم الأنبياء،ليكونوا قدوة لنا في مجال الدعوة إلى الله _عز وجل_.

هذا المجال وإن اختلف في حيثياته،فلكل قصة من قصص الأنبياء منهج عام يحكمها، وإن اختلفت تفاصيل القصة ،وهذا يؤدي بنا باجتماع كل القصص القرآني ككل إلى بلورة أفكار صالحة للاستخدام في كل زمان ومكان ،تحد من تفرق كلمة المسلمين وتجمعهم تحت راية واحدة ومنهج واحد بعيد عن كل الأسباب والعوامل التي يمكن أن تؤدي إلى ما يمكن أن تبعد الناس عن دين الله عز وجل.

بهذه الحيثيات يمكن لنا كباحثين أن نستخلص من وقائع دعوة الأنبياء لأقوامهم وبيان الجانب العقلي في الطرح والحوار ما يكفي للرد على تلك التساؤلات ، والتي تكاد تشغل الآن معظم عقول الدعاة إلى الله،وإخراجهم من دوامة التشتت التي يعيشها الدعاة،في ظل الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية،والتحديات التي تقف أمام الدعوة لدين الله،في عصر الماديات التي أصبحت تحكم عقول الناس من المسلمين وغيرهم .

إن أمتنا في هذا العصر هي أحوج لمن يجمع شملها ويوحد صفها في أهم الأعمال وهي الدعوة إلى الله،قال تعالى:(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)([2])، هذه البصيرة التي تمثلت بدعوة الأنبياء بالمنهج العقلي لتقابل العقل الإنساني ككل،الذي هو مناط التكليف بالأسلوب الذي يجعل اللبيب العاقل يدرك أن هذا المنهج هو المنهج الصحيح الذي تدركه العقول وترتاح إليه النفوس.

([1]) سورة النحل، الآية (١٢٥)

([2]) سورة يوسف، الآية(١٠٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدود المشكلة :

إن حدود مشكلة البحث لا تتجاوز منهج الأنبياء العقلي في الدعوة إلى الله ، هذا المنهج المحصور في جهد الأنبياء البشري البعيد عن الوحي بحيثياته لا بكلياته ، فالكليات كما أسلفنا محددة بالإطار العام الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والتي فيها مجال للتجربة البشرية، فهذه هي التجربة لصفوة خلق الله والتي يمكن للبشر أن يقتدوا بهم وأن يصلوا إلى مرتبة قريبة من التطبيق.

لا شك أن الدعوة الموجهة في القرآن الكريم للناس على لسان نبي من أنبياء الله، والتي كانت عن طريق الوحي في التبليغ المباشر، هي المنهج الرباني الذي يتصف بصفة الكمال فهي بمثابة الدستور الرباني،والتي لا مجال للعقل فيها للاجتهاد فهي الأكمل وما على الأنبياء إلا التبليغ ، لأن كمالها من كمال الله _عز وجل_، ولكن الله _عز وجل_ أغلق الباب أمام من سوف يدعي أن الأنبياء يدعون إلى الله بوحي مباشر من السماء، ولا دور للأنبياء سوى النقل عن رب العزة، فكيف لنا أن ندعوا ونحن بشر نصيب ونخطئ ؟

هذه الشبهة التي قد ترد على بعض الأذهان أنزل الله عز وجل في كتابه العزيز الكثير من إجتهادات الأنبياء البشرية في الدعوة إلى الله دون تدخل الوحي،وفي بعض الأحيان قد يرد الإجتهاد الذي هو خلاف الأولى وينزل الوحي للتصحيح،كما سوف يظهر من خلال البحث.

بهذا الإطار يمكن أن نجعل منهج الأنبياء العقلي في دعوة البشر أرضية خصبة للدعوة إلى الله عز وجل، لاسيما وأن كل نبي من الأنبياء قد عالج جزءا مهما من مشاكل البشر، اجتماعية أخلاقية اقتصادية وأمراض نفسية .

منهجية البحث :

سأتبع في هذا البحث المنهج العلمي في البحث الدقيق المباشر في آيات القرآن الكريم، والأساليب والطرق العلمية الصحيحة للوصول الى النتائج المطلوبة و هي المنهج الاستقرائي وذلك بجمع كل ما يتعلق بموضوع البحث ودراسته دراسة متأنية ، وكذلك المنهج التحليلي والذي يقوم على التغلغل إلى أعماق النصوص والعمل على فهم ما وراء النصوص وتحليلها وفهم حيثياتها من جميع الجوانب ، وكذلك المنهج الاستنباطي والذي بدوره يقوم على استخراج العبر والمعاني والأسس العقلية التي اتخذها الأنبياء في الدعوة إلى الله ، باجتهاداتهم الفردية التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يكن فيها تدخل الوحي،الأمر الذي يضفي على دراستنا الشيء الجديد الذي لم يتطرق إليه من قبل أحد من الباحثين.

في هذه الدراسة سأقوم باستعراض مجموعة من الآيات القرآنية التي تعرضت لدعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لأقوامهم ، والتي تم التركيز فيها على الجانب العقلي للأنبياء في دعوة أقوامهم وفي دعوة ذوي القربى ، وبيان واستنتاج القواعد والأسس التي اعتمدها الأنبياء – بصفتهم صفوة خلق الله وأرجحهم عقلا – في الدعوة إلى الله عند غياب الوحي الإلهي المباشر ، والعبر المستفادة من ذلك.

ولذلك فسوف أقتصر في بحثي على اختيار بعض الأنبياء الذين لهم تصوير واضح في القصص القرآني، لتدعيم الأفكار التي أسعى لتوضيحها،فقد تجلت في سيرهم في القرآن الكريم بشكل واضح ومفصل في كثير من الآيات،دون بعض الأنبياء الذين ورد ذكرهم بالقرآن الكريم دون إسهاب.

وبذلك قمت بتقسيم البحث كالآتي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الفصل التمهيدي : التعريف بمصطلحات البحث

المبحث الأول : المنهج لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : العقل لغة واصطلاحاً

المبحث الثالث : الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الرابع : النبي لغة واصطلاحاً

الفصل الأول : المناهج الدعوية العقلية للأنبياء في القرآن الكريم

المبحث الأول : المنهج التحليلي

المطلب الأول: في الحجة العقلية

المطلب الثاني:في الاستدراج العقلي للوصول الى الحق

المطلب الثالث:في التحدي بالمعجزات

المبحث الثاني:منهج الاحتواء بالرعاية والحب

المطلب الأول:للأفراد والجماعات

المطلب الثاني:للمشاكل والأمراض الاجتماعية

المبحث الثالث:منهج الترهيب والترغيب

المطلب الأول:فلسفة الترهيب والترغيب لدى العقل البشري

المطلب الثاني:نماذج من سير الأنبياء في منهج الترهيب والترغيب

المبحث الرابع:منهج التدرج

المطلب الأول:في موضوع الدعوة

المطلب الثاني:في الشخص المدعو

المطلب الثالث:في الأسلوب

المبحث الخامس:منهج القدوة الحسنة

المطلب الأول: في تطابق الأفعال مع الأقوال

المطلب الثاني:في الأخلاق الحسنة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني:خصائص المنهج الدعوي العقلي للأنبياء في القرآن الكريم

المبحث الأول:الشمولية

المطلب الأول:في حياة الفرد

المطلب الثاني:في حياة المجتمع

المبحث الثاني:الواقعية

المطلب الأول:في دعوة الناس

المطلب الثاني:في تصرف الأنبياء كبشر

المبحث الثالث:التوازن

المطلب الأول:بين المتطلبات المادية والروحية

المطلب الثاني:بين الخوف والرجاء

المبحث الرابع:اليسر

المطلب الأول:في الإدراك والفهم

المطلب الثاني:في التطبيق

الخاتمة

التوصيات

المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفصل التمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث

يتضمن هذا الفصل التعريف بالمفاهيم والمصطلحات الرئيسية في هذا البحث وقمت بتقسيمه إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول : المنهج لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : العقل لغة واصطلاحا

المبحث الثالث : الدعوة لغة واصطلاحا

المبحث الرابع : النبي لغة واصطلاحا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : المنهج لغة واصطلاحا

المنهج لغة :يقول ابن فارس في مقاييس اللغة

(والنَّهْج، الطريق. ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه. و هو مُستقيم المِنْهاج. والمَنْهج: الطَّريق أيضاً، والجمع المناهج.)[١]، ومن الفعل نهج وهو (طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ وهو النَّهْجُ)[٢]

وفي الاصطلاح:

يقول الإمام الطبري في تعريف المنهج (وأما"المنهاج"، فإنّ أصله: الطريق البيِّن الواضح، يقال:هو طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ، بيِّنٌ)[٣].

ويقول ابن كثير في تفسيره(أما "المنهاج": فهو الطريق الواضح السهل)[٤].

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره (وأما المنهاج فهو الطريق الواضح)[٥].

ويقول الإمام القرطبي (والمنهج: الطريق المستقيم الواضح فى الدين)[٦].

وكذلك (المنهاج الطريق الواضح ويقال الشرعة معناها ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستمرة)[٧]

ويقول صاحب تفسير البحر المحيط (المنهاج والمنهج : الطريق الواضح ،ونهج الأمر استبان، ونهجت الطريق أبنته وأوضحته ، ونهجت الطريق سلكته)[١].

---

١) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَرِيّا، **مقاييس اللغة**، ت٣٩٥ه المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون الناشر: دار الجيل، بيروت:١٩٩١م. عدد الأجزاء : ٦ ج٥ ص٢٨٨

٢) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري **لسان العرب** ، الناشر:مؤسسة الرسالة– بيروت الطبعة الأولى١٩٨٧م،تاريخ الوفاة ٧١١ه عدد الأجزاء : ١٥ ج٢ ص٣٨٣

٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج١٠ ص٣٨٤

٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ت٧٧٤ ،الناشر : دار ابن كثير-دمشق ١٩٩٤ه عدد الأجزاء : ٨ ج٣ ص١٢٩

٥) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ت٦٠٦ عدد الأجزاء/ ٣٢ دار النشر / دار الكتب العلمية-بيروت ١٩٩٠ ج١ ص١٦٦٧

٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ت٦٧١ه المحقق : هشام سمير البخاري الناشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعوديةط ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م ج٦ ص٢١١

٧) شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، الناشر : دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٩٢تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي عدد الأجزاء : ١ ص١٨٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني:الدعوة في اللغة والاصطلاح

الدعوة لغة :يقول ابن فارس(و(دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد، و هو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعُو دعاءً)[٢].

(والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة،وأحدهم:داع ورجل داعية،إذا كان يدعو الناس إلى دين أو بدعة)[٣]،ومنه في القرآن الكريم (قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) [٤].ومن كلام أهل اللغة يظهر لي أنّ معنى الدعوة في اللغة: التقرب الى الناسَ، بالكلام،أو بالفعل.

والدعوة في الاصطلاح : قال ابن تيمية:(الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربّه كأنه يراه) [٥]

ويقول الراغب الأصفهاني(والدعوة: مأخوذة من الدعاء، و هو النداء إلى الشيء والحث على قصده، قال تعالى: (والله يدعو إلى دار السلام) (يونس ٢٥))[٦].

---

(١) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي **تفسير البحر المحيط**، ت٧٤٥ دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة : الأولى ج٣ ص٤٩٨ عدد الأجزاء /٨تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض

(٢) –ابن فارس،**مقاييس اللغة** (مصدر سابق) باب (دعو) ج٢ ص٢٢٨

(٣) –ابن منظور، **لسان العرب (مصدر سابق)مادة (دعا) ج١٤ ص٢٥٩**

(٤) سورة يوسف الآية (٣٣)

(٥) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **مجموع الفتاوى**،(ت٧٢٨)المحقق : أنور الباز - عامر الجزار الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ١٩٩٢م

(٦)- الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، **مفردات ألفاظ القرآن**، ت٢٠٥ه دار النشر دار القلم - دمشق ١٩٩٧م عدد الأجزاء ٢ ص٣١٥ - ٣١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسؤال المتبادر الى الذهن هو (هل الدعوة قاصرة على الفكرة التي يدعو الداعي الناس إليها، والأساليب والوسائل المستخدمة فقط، أو يدخل فيها سلوك والتزام الداعي بما يدعو إليه، أو يدخل فيها ما وراءه من تربية وتزكية، ثم ما يعقب ذلك من عمل بما يدعو إليه؟)([1])

من هنا نستطيع القول أن (الدعوة إلى الله هي تبليغ الإسلام إلى الناس كافة، وحثهم على الدخول فيه، والتزامه، وتعليمهم إياه، وتربيتهم على معانيه، من خلال الأساليب والوسائل المأذون بها شرعا،والتي تخاطب العقول بكل انفتاح، وتكون عامل جذب لها ، والتزام ذلك في حياة الداعي والمدعو من تزكية للنفوس والمداومة على الأعمال الصالحة.)([2]).

([1]) احمد بن عبد العزيز الحمدان، **الوسائل الدعوية**، الطبعة الأولى،دار النشر ص٩

[2]) المرجع السابق ص ١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : العقل لغة واصطلاحاً

تمهيد:

لا بد قبل تعريف العقل في اللغة والإصطلاح أن نتعرف على رأي الفلاسفة في تقسيم العقل،فيذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي(للإسكندر الأفروديسي رسالة صغيرة في العقل ترجمت الى العربية وكان لها تأثير هائل في الفلاسفة المسلمين وفيها يقسم العقل إلى ثلاثة أنواع:

١_العقل الهيولاني. ٢_العقل المستفاد. ٣_العقل الفعال.

والأول سمي بذلك لشبهه بالهيولي(المادة)،وهو العقل بالقوة عند أرسطو،وهو خال من كل تحديد،وليست له صورة،ولكن يمكنه أن يتخذ أية صورة،ويبقى طالما كان الإنسان حياً،ويفنى بفنائه.أما العقل بالملكة او العقل المستفاد فلم يذكره أرسطو،وفيه توجد المبادئ التي هي المقولات الأولى.وأعلى هذه العقول الثلاثة العقل الفعال،إنه مثل النور الذي يضيء لنا المعقولات،وبواسطته ينتقل العقل الهيولاني من القوة الى الفعل.

أما الكندي فيقسم العقل إلى أربعة أنواع:١-عقل بالفعل دائماً_وهو العقل الفعال.

٢_عقل بالقوة.

٣_عقل ينتقل في النفس من القوة إلى الفعل،وهو العقل بالملكة.

٤_عقل بياني(أو بائن).

ويمكن إدراك الفارق بين هذين النوعين الأخيرين بأن نقول أن العقل الثالث هو الذي اكتسب الملكة،والعقل الرابع هو الذي يمارس ما اكسب،الثالث مثل الطبيب الذي تعلم الطب لكنه لا يمارسه بالفعل،والرابع مثل الطبيب الذي يمارس مهنة الطب بالفعل،والتفرقة _كما هو واضح_ضئيلة.)([1])

العقل لغة : يقول ابن منظور(وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه و العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها)([2]).

(والعَقْل، وهو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل.)([3])

---

[1])د.عبد الرحمن بدوي،**علم النفس عند الكندي**، دار الفكر،الطبعة الأولى، ص٥

(٢) إبن منظور، **لسان العرب** (مصدر سابق)مادة (عقل) ج١١ ص٤٥٨

(٣) إبن فارس، **مقاييس اللغة** (مصدر سابق)**باب العين والقاف،ج٤ ص٦٩**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - عن القرآن الكريم: « لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها» (١).وإنما يعقل البعير لحبسه، ومنعه من الهرب.

وخلاصة القول: إن العقل في اللغة يطلق على المنع والحبس والتثبت في الأمور.

والعقل اصطلاحاً : تنوعت التعريفات المقولة في العقل، واختلفت.

المعنى الأول:.يقول أبو حامد الغزالي عن هذا المعنى، إنه: (الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية) (٢)

ويقول الماوردي في تعريف العقل : (فالغريزي هو العقل الحقيقي، وله حد يتعلق به التكليف، لا يجاوزه إلى زيادة، ولا يقصر عنه إلى نقصان، وبه يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان)(٣).

ويقول الحارث بن أسد المحاسبي : (فأما هو في المعنى والحقيقة لا غيره، فهو غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه، لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية، ولا بحس، ولا ذوق، ولا طعم. وإنما عرفهم الله سبحانه وتعالى إياه بالعقل منهم؛ فبذلك العقل عرفوه، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم، بمعرفة ما ينفعهم، ومعرفة ما يضرهم) (٤)

---

(١) أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري،ت٢٥٦ الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق عدد الأجزاء : ٦مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا ومسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،ت٢٦١ الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي عدد الأجزاء : ٥ مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. (البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده. ومسلم، صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن).

(٢) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد،**إحياء علوم الدين**،(ت٥٠٥) الناشر : دار االمعرفة – بيروت١٩٩٠ عدد الأجزاء : ٤ ج١ ص٨٥

(٣) لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي،أدب الدنيا والدين،ت٤٥٠ تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الرابعة،شركة **مصطفى الحلبي**، مصر،١٣١٨ه،ص٦

(٤)الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، **مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه**، الناشر : دار الكندي ، دار الفكر – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٨تحقيق : حسين القوتلي ص٢٠١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبإمكان العباد أن يطلعوا بعقولهم على هذه الغريزة؛ أ هي موجودة عند فلان، أو ليست كذلك، بالنظر إلى أفعال جوارحه؛ ويقول المحاسبي (فإذا رأوا من أفعاله ما يدلهم على أنه قد عرف ما ينفعه في دنياه وما يضره، وإذا رأوه طالباً عاملاً فيما ينفعه من دنياه، مجانبا لما يضره من دنياه، سموا من كان كذلك: عاقلا، وشهدوا له أن له عقلا، وأنه لا مجنون، ولا تياه، ولا أحمق) ([1])

وهذه الغريزة، التي هي إحدى معاني العقل، شرط في معرفة العلوم وهي مناط التكليف؛ فإذا عدمت في الإنسان، سقطت عنه التكاليف الشرعية،وفي ذلك يقول الحارث المحاسبي : (فالعقل غريزة، جعلها الله في الممتحنين من عباده؛ أقام به على البالغين للحلم الحجة، وأنه خاطبهم من جهة عقولهم، ووعد، وتوعد، وأمر، ونهى، وحض، وندب)([2]).

وهذا العقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره.وعن هذا المعنى نفسه، يقول ابن تيمية: (العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، ولكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوه فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين) ([3]).

المعنى الثاني: العلوم التي تلازم الإنسان العاقل؛ كالعلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات.وهذا معنى من معاني العقل؛ إذ ثمة علوم كما يقول أبو حامد الغزالي (تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز، بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات؛ كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد) ([4]) ، ويؤيده الماوردي أن (الشيء لا يخلو من وجود أو عدم، وأن الموجود لا يخلو من حدوث أو قدم، وأن من المحال اجتماع الضدين) ([5]).

---

(١) المصدر السابق ص ١٨

(٢) المصدر السابق ص١٩

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مصدر سابق، ج٣ ص ٣٣٨.

(٤) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مصدر سابق، ج١ ص ٥٩

(٥) -الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، مصدر سابق، ص ٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعنى الثالث:يقول صاحب كتاب بصائر التمييز عن تعريف العقل(العلوم المستفادة من التجارب، والمكتسبة بواسطة العقل، والتي يضبطها الإنسان، ويمسكها) ([1]) .و هذا العقل كما يقول الماوردي (نهاية المعرفة، وصحة السياسة، وإصابة الفكرة،وليس لهذا حد؛ لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل)([2]) .

وعنه يقول أبو حامد الغزالي: (علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال؛ فإن من حنكته التجارب، وهذبته المذاهب، يقال إنه عاقل في العادة، و من لا يتصف بهذه الصفة، يقال إنه غبي، غمر، جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا) ([3]).

ويقول الماوردي (ونماء هذا النوع يكون بأحد أمرين، هما:١-كثرة الاستعمال؛ بكثرة التجارب، وممارسة التفكير.٢ - وفرط الذكاء، وحسن الفطنة) ([4])،فكلما كثرت تجارب الإنسان، زاد عقله، بسبب ازدياد علومه.

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**،-تٍ٤٧٦ ، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.،١٤٠٣هـ، ج٤ – ص٨٥

(٢) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، مصدر سابق، ص ٧.

(٣) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مصدر سابق، ج١ ص: ٦٠

(٤) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، مصدر سابق، ص ٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الحارث المحاسبي(والفهم والبيان يسمى عقلاً أيضاً؛ لأنه عن العقل كان، فيقول الرجل للرجل: أعقلت ما رأيت، أو سمعت؟ فيقول: نعم، يعني: أني قد فهمت، وتبينت. والعرب إنما سمت الفهم عقلا؛ لأن ما فهمته فقد قيدته بعقلك، وضبطته)([1]).

المعنى الرابع: الأعمال التي يستوجبها العلم؛ من إيمان بالله، وتصديق بكتبه، ورسله، والتزام بأمره ونهيه؛ كحبس النفس على الطاعات، وإمساكها عن المعاصي.

وهذا معنى رابع من معاني العقل، وعنه يقول ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): (.. لفظ العقل يطلق على العمل بالعلم) ([2])

(فالعمل من لوازم العقل؛ لأن صاحب العقل إذا لم يعمل بعلمه، قيل: إنه لا عقل له) ([3])؛ (والعقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة: الإقرار بالخالق)([4]) .

فحال من لم يعمل بعلمه، أنه يمسك علوما ضرورية فطرية، يعرف بها ربه عز وجل، ولكن هواه صده عن اتباع موجب العقل، فصار لا عقل له بهذا الاعتبار.

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه رجالاً هيأ لهم أدوات العلم والمعرفة، وأخبر في الوقت، نفسه أنهم لم يستفيدوا منها؛ فقال: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } ([5]).

يقول ابن تيمية رحمه الله (فهؤلاء قد عقلوا البيان الذي لزمتهم من أجله الحجة، لكنهم لم يعملوا بما عقلوا، فحالهم أن لهم عقولا يعرفون بها الحق، ولكن هواهم صدهم عن اتباع موجب العقل، فلا عقل لهم بهذا الاعتبار)([6]).يقول المحاسبي في مائية العقل (فهم بالدنيا أهل بصر

---

(١) الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، **مائية العقل**، (مصدر سابق) ص ٢٤

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، الناشر : مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ تحقيق : د. موسى سليمان الدويش عدد الأجزاء : ١ ص٢٥٠ – ٢٥١

(٣)ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** (مصدر سابق)ج١٦ ص٣٣٦

(٤) المصدر السابق،ج١٦ ص٣٣٦

(٥) سورة الأحقاف، الآية ٢٦

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مصدر سابق، ج١٦ \ ص٣٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسمع وعقل، فلم يعن أنهم صم خرس مجانين، وإنما عذبهم لأنهم يعقلون، ولو تدبروا ما يرون ويسمعون من الدلائل عليه؛ من آيات الكتاب، وآثار الصنعة، واتصال التدبير، الذي يدل على أنه واحد لا شريك له) (١).

فالعاقل - كما قال سفيان بن عيينة :(ليس الذي يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه) (٢).

والله تعالى قد حكى عنهم قولهم وهم في النار : { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (٣).

فالعمل ثمرة العقل وفائدته، ولا عقل لمن لم يعمل بموجب ما دله إليه عقله.

وبعد عرض كل هذه الآراء في تعريف العقل عند العلماء، نجد أن هذه التعريفات في جملتها تقودنا إلى معرفة شاملة بماهية العقل،فالعقل هو الشيء الذي ميز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات،وهو بالإضافة إلى ذلك العلوم الضرورية التي تنشأ مع وجود الإنسان في هذه الحياة،وكذلك العلوم التجريبية التي يكتسبها الإنسان من التجربة،وهو كما أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم العمل بما يعقل،فحال من لا يعمل بما يعقله فحاله كمن لا عقل له ،فالعقل يتكون من هذه المعاني الأربعة،وإذا غاب واحد منها يقال للشخص ليس بعاقل،لهذا يقول ابن تيمية عن العقل: (هو علم، أو عمل بالعلم، وغريزة تقتضي ذلك) (٤).

---

(١) المحاسبي، **مائية العقل**، مصدر سابق، ص ٣١.

(٢) عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي **العقل وفضله**، الناشر : دار الراية – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ تحقيق : لطفي محمد الصغير عدد الاجزاء ١ ص٥٢

(٣)سورة الملك، الآية ١٠

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، **درء تعارض العقل والنقل**، الناشر : دار الكنوز الأدبية - الرياض ، ١٣٩١تحقيق : محمد رشاد سالم عدد الأجزاء : ١٠ ج١٠ ص٣٠٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: النبي لغة واصطلاحا

النبي لغة: يقول ابن فارس من (النَّبَأ: الخبر، لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى مكان. والمُنبئ: المُخبِر. وأنبأته ونبّأته.)(١).

ويأتي أيضا من(النَّباوةِ وهي الارتفاعُ من الأرض لارْتِفاع قدْره ولأنه شُرِّف على سائر الخلق)(٢).

وفي التعريف الاصطلاحي: يقول ابن تيمية رحمه الله:(النبيّ: هو من يُنبئ بما أنبأ الله به، ولا يُسمّى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حقّ؛ كالعالم، فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم، لكونهم مؤمنين بهم؛ كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول. فالأنبياء يُنبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر، والأمر، والنهي.)(٣).

ويقول الماوردي في النكت والعيون (أن الرسول والنبي واحد ، ولا فرق بين الرسول والنبي، وإنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر ، والرسل تعم الملائكة والبشر)(٤).

ومن خلال السياق القرآني،أجد أن رأي الماوردي أقرب للصواب حيث أن لفظ الأنبياء خص البشر،أما لفظ الرسول فقد شمل كل من الملائكة كما في قوله تعالى: (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا)(٥)وشمل الأنبياء كما في قوله تعالى:(قل سبحان ربي هل كنت إلا

---

(١) ابن فارس،**معجم مقاييس اللغة**،مرجع سابق،باب (نبأ) ج٥ ص٣٠٨

(٢) ابن منظور،**لسان العرب**،مرجع سابق،باب (نبا) ج١٥ ص٣٠١

(٣)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،**النبوات**، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر:أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، **النكت والعيون** ،دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم عدد الأجزاء ٦ ج٤ ص٣٥

(٥) سورة مريم الآية(١٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بشراً رسولاً)([1])وشمل البشر كما في قوله تعالى:(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسئله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم)([2]).

ومن هذا الجانب نعرفه في الاصطلاح : أن النبي هو المكلف من البشر بتبليغ الوحي عن الله عزوجل ،والمؤيد على صدقه بالمعجزات.

(١) سورة الإسراء الآية(٩٣)

(٢) سورة يوسف الآية(٥٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول:المناهج الدعوية العقلية للأنبياء في القرآن الكريم

تمهيد:

ان استقبال عقول المدعوين للدعوة إلى الله ليس على صورة واحدة،ولكنهم ينقسمون إلى أصناف عديدة : فمنهم من يرضى بها ويُقبل عليها ويتفاعل معها ،ويستجيب لأصحابها ، ويثني عليهم ويتقبل كلامهم ، ويدعو لهم ، و هذا الصنف الطيب الخيِّر موجود بكثرة بين جماهير المسلمين.

ومنهم من يغلق قلبه أمامها ، ويصمّ أذنيه عن سماعها ، ويعرض ويدبر ويتولى ، ويرفض أن يتفاعل معها ،ومنهم من يرفضها ويتوجه إلى الداعين بالاتهام والسخرية والاستهزاء والانتقاد ، ويجعلهم هم السبب في رفض الدعوة ، ويتهمهم في أسلوبهم ومنطقهم وتعاملهم مع المدعوين، فيتهمهم بالتزمت والتعصب والعنف والقسوة والإيذاء.

ومنهم - وبخاصة إذا كان صاحب مركز أو سلطان - مَن يرفض الدعوة ويتهم أصحابها، ثم يوقع بهم أنواعا من الإيذاء والتعذيب والاضطهاد، ويصدر في حقهم من الاتهامات والانتقادات والإشاعات كالتعصب أو التطرف.

هذا العقل الذي هو أعظم مخلوق خلقه الله،كما يقول الأستاذ تيسير خميس العمر في كتابه حرية الاعتقاد في ظل الإسلام(بث الله له آياته في الوجود وشرع آفاقها للنظر والتفكير،وجهز الإنسان بأدوات النظر الكافية،كي يهتدي الإنسان إلى حقيقة وجوده الكبرى،ومعرفة الغاية من هذا الوجود،ولو تفكر قليلاً لوجد أن الله سبحانه الذي خلقه قد أمده بأدوات يكتسب بها سائر العلوم الدينية والدنيوية وبغيرها لا يمكن تحصيل شيء من العلم)([1]).

في المنهج الدعوي العقلي يجب على الدعاة الجمع بين أسلوب عرض الدعوة، وبين جوهر الدعوة ومضمونها ،فبين جوهر الفكرة وأسلوب تقديمها ترابط وثيق لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. فالداعية يجدد في الأساليب ، ويلون في وجوه البيان ، وينوع في طرق

([1])تيسير خميس العمر،**حرية الاعتقاد في ظل الإسلام**،الناشر:دار الفكر-دمشق،الطبعة الأولى ص١٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب والأداء ، ويضيف إلى ذلك كل نافع وجديد وناجح ومؤثر،كما قال أبو منصور الماتوريدي(فالسمع والعقل هما أصل ما يعرف به الدين)([1]).

فكثيرًا ما يكون المرء على معرفة وعلم بما يدعو الناس إليه، ولكن هذا - مع حسنه - لا يكفي وحده، ولا يغني بمفرده، حتى يتقن صاحبه الدور الثاني المهم، و هو القدرة على إيصال هذا الحق إلى الناس بالكيفية المناسبة، والدخول إلي عقولهم من الباب الصحيح الذي يستقبلونه ويتقبلونه ،ففهم الخطيب أو الداعية أو الكاتب ينبغي أن لا يكون محصورًا في إيصال ما عنده فحسب دون اعتناء وحرص لفهم المخاطبين لقضيته، واستيعابهم لمقاصده ومسائله، فكثيرا ما تسمع: 'عليك بالبلاغ، ولا يهمك مَن قبل ممن لم يقبل'، وهذه الكلمة تحتمل معنى صحيحًا - وإن كان ليس المتبادر إلى الأذهان - وتحتمل معنى خاطئًا:

أما المعنى الصحيح: هو أن المسلم ينبغي أن يوجه جهده نحو الدعوة إلى الله، وتبليغ دينه وإيصاله للناس، ويبذل جهده في اختيار الأساليب وتنويعها بحسب أحوال من يخاطبهم، والصبر عليهم في تفهيمهم الحق، ثم بعد ذلك من نكص على عقبيه، وأعرض، فلا يحمل الداعية همّه، ولا يحرف الحق لأجله، أو يشوه صورته، فيكون معنى العبارة آنفة الذكر من نحو قوله تعالى:(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ،لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)([2]). وغيرها من الآيات .

أما المعنى السقيم لتلك العبارة: فهو أن الداعية لا يعتني بأساليب الدعوة، ولا يهتم بوسائلها، ولا ينظر إلى حال من يخاطبهم، ولا يدرس أحوالهم وعقولهم ومستوياتهم، إنما يقول ما يريد، ويفصح عما يعتقد بكيفية واحدة، وطريقة ثابتة في أي مجلس كان، ومع أي قوم كانوا، ولا يهمه قبول الناس لما يقول، فإذا ما أعرض الناس عن تقبلهم لما عنده، بسبب أسلوبه في إيصال الحق فإنه لا يهتم بذلك، ولا يعبأ، ولا يصلح من حاله، أو يغير من شأنه، إنما يقول:' علينا أن نقول ولا يهمنا القبول'، ولا شك في خطأ هذه الفكرة، وانحرافها عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى .

([1]) أبي منصور الماتوريدي، **كتاب التوحيد**، تحقيق: فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية،ص٤

([2]) سورة الغاشية الآيات(٢١-٢٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المسلم الداعية معني ببذل الجهد واستفراغ الوسع في اختيار الأسلوب أو الطريقة التي يبلغ بها دعوته بما يؤدي الغرض، ويوصل إلى المقصد و هو هداية الناس،ودخولهم في دين الله ، فلا يصح أن يكون المسلم داعية إلى الحق بنيته وقصده، و صادعًا عنه بأسلوبه وطريقته.

والبون شاسع بين أن يكون صدود الناس، و عدم قبولهم للحق بسبب إعراضهم، أو استكبارهم، وطمس الله على قلوبهم، و بين أن نكون سببًا في التنفير من الحق لفساد طرق الدعوة، أو بسبب فقدان القدرة على تبليغه.

ولأن إفهام الناس الحق، ومحاولة إيصالهم إلى معانيه بالوسائل الصحيحة المناسبة لهم، أمرٌ ذو أهمية،أرسل الله كل رسول بلسان قومه ليبين لهم، كما قال عز و جل:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)([1]).

فلا أدل على الاعتناء بطرق دعوة الناس إلى الحق مما تضمنه القرآن الكريم في قصص الأنبياء من الأساليب العقلية المتنوعة، من منهج التحليل والاحتواء والتدرج والترهيب والترغيب والقدوة الحسنة، وتصريف الآيات للناس ليفهموا الحق ويعقلوه، و قد جاء ذلك مبينًا في آيات كثيرة.

إن الله خلق الكون،وأمر الإنسان بالتفكر بعقله والتدبر فيه،ويبين الأستاذ تيسير العمر في كتابه حرية الاعتقاد عن الكون(شرع آفاقها للنظر والتفكير،وجهز الإنسان بأدوات النظر الكافية،كي يهتدي الإنسان إلى حقيقة و جوده الكبرى،ومعرفة الغاية من هذا الوجود،ولو تفكر قليلاً لوجد أن الله سبحانه الذي خلقه قد أمده بأدوات يكتسب بها سائر العلوم الدينية والدنيوية،وبغيرها لا يمكنه تحصيل شيء من العلم)([2]).

([1]) سورة إبراهيم الآية (٤)

([2]) تيسير خميس العمر،**حرية الاعتقاد في ظل الإسلام**،الناشر،مرجع سابق،ص١٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن النـاس ليسـوا بمسـتوى واحـد مـن العلـم والفهـم ،فيجـب مراعـاة تفـاوت العقـول والنفوس،يقول الدكتور محمد عبد المنعم في كتابه الإسلام تعقل واستنباط (فالعقل الذي يخاطبه الإسلام يقوم بأدوار أربعة:فهو الذي يميز الأضرار،ويوازن بين الأمور،ويدرك الحقائق،ويعصم الضمير)([1])ولسنا نقصد بمراعاة نفوس الناس واعتبار أحوالهم وعقولهم أن تميع القضايا،أو تمطط المسائل الشرعية وتحرف وتغير لأجل إقناع طائفة من الناس مثلا بأن الإسلام دين اليسر والتسهيل أو نحو ذلك، فإن ثمة فرقا بينا بين تحريف الحق وإخضاعه لأهواء الناس وبين إبقائه على حاله واضحا جليا محددا كما أنزله الله،وبلغه رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن يختار الأسلوب المناسب والوقت المناسب لإيصال ذلك الحق كما هو في الشرع للناس.

وقمت بتقسيم هذا الفصل إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول:المنهج التحليلي

المبحث الثاني:منهج الاحتواء

المبحث الثالث:منهج الترهيب والترغيب

المبحث الرابع:منهج التدرج

المبحث الخامس:منهج القدوة الحسنة

([1]) د.محمد عبدالمنعم القيعي،**الإسلام تعقل واستنباط**،الناشر:مطبوعات الشعب،ص٤٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : المنهج التحليلي

تمهيد :

التحليل لغة : (حلل: حَلَّ العقدة فتحها فانحَلّت)(١) واصطلاحا: (هو فصل و عزل عناصر المعلومات المكتسبة وإرجاعها إلى قواعد العقل الأساسية لملاحظة خصائصها ودلالاتها المتميزة حتى نتمكن من فهمها) (٢)،فالتحليل كما يقول الدكتور محمد الدسوقي(لب التفكير الإنساني سواء أكان علميا أم غير علمي،وهو يوجد على حد سواء لدى العالم والطفل الصغير)(٣) ولذلك فهو أساس كل من المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي و باقي المناهج، لأن كلا منها يحتوي على التحليل العقلي،فلا يمكن فصل تلك المناهج عن المنهج التحليلي،لأنه أساس التفكير في العقل الذي وهبه الله للإنسان،وكما يقول الدكتور عبد الحميد أبو سليمان(الإنسان هو أكرم خلق الله ،إذ ميزه وكرمه بالإرادة و قدرة التصرف والتسخير للكون والحياة،ووهبه العقل و ما أودعه فيه من فطرة للإدراك والتدبير وتصريف الحياة والمقدرات وفق ما علمه من نواميسها وأسبابها ومسبباتها،فيعلو ويحسن بالإلتزام بالحق،وينحط ويطغى ويفسد بإجتناب الحق)(٤).

فالأنبياء اتخذوا التحليل العقلي _للمعلومات المكتسبة و كذلك حث عقول الآخرين على التفكير والتحليل والتدبر_ وسيلة في دعوة أقوامهم والوصول معهم إلى نتيجة ترضخ لها العقول وتستسلم لها النفوس السليمة البعيدة كل البعد عن الشهوات، فالعقل كما يقول الدكتور عبد المجيد النجار(وسيلة للإدراك والتمييز والحكم)(٥).

---

(١)محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، **مختار الصحاح**، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥ – ١٩٩٥ تحقيق : محمود خاطر عدد الأجزاء : ١ ص١٦٧

(٢) د.محمد الدسوقي،**منهج البحث في العلوم الإسلامية**،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – الدوحة،قطر،الطبعة الثانية ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م ص١١٠(بتصرف)

(٣) المرجع السابق ص١٠٩

(٤)د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان،**أزمة العقل المسلم**،الناشر:الدار العالمية للكتاب الإسلامي ص١١٦

(٥)د.عبد المجيد النجار،خلافة الإنسان بين الوحي والعقل،الناشر:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،الطبعة الثانيةص٧١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا المنهج ينطوي على ركنين أساسيين :

الأول :

قيام النبي بنفسه بتحليل المعلومات والوقائع إلى حيثياتها،بحيث يتم تبسيط المعلومات وجعلها أقرب للعقول،حتى تكون ظاهرة وبينة واضحة،لا لبس فيها ولا يمكن لعاقل أن يتجاهلها وأن ينكرها بنفس الطريقة التي قام النبي بعرضها له ،وإلا كان جاحدا للحقيقة التي لا ينكرها عقله،بل ينكرها العقل الذي حكمته الأهواء والشهوات وهذا ما سأبينه في المطلب الأول.

الثاني :

قيام النبي بأسلوب حث عقل الآخر على التفكير الصحيح ، ووضع النقاط على الحروف،مثل أسلوب طرح الأسئلة التي تتطلب إجابة صريحة لا يمكن المداهنة فيها،أو أسلوب التحدي الذي يصل بصاحبه في نهاية الأمر إلى التفكير العميق والمنهجي،والتغلغل في أعماق عقله حتى يتبين له الخطأ من الصواب،وهذا ما سأبينه في المطلب الثاني والثالث .

المطلب الأول : في الحجة العقلية

لا شك أن الحجة العقلية هي خير وسيلة لاجتياح العقل وإخضاعه للمسلمات التي إن أنكرها العقل يكون خارجا على نفسه،لأن الحجة العقلية كانت من أهم الوسائل التي استخدمها الأنبياء في الدعوة ، لا سيما وأن الذي ينكر دعوة الأنبياء إلى الإله الواحد الأحد في غالب الأحيان كانوا يبارزون الأنبياء بالعقل ومدى قناعته لتلك الدعوة التي أعلنها نبي ذلك الزمان،ولذلك يقول الأستاذ معروف زريق صاحب كتاب علم النفس الإسلامي(التفكير هو ميزة الإنسان الأولى،والشخصية المتكاملة،وقد كرم الله تعالى الإنسان بأعظم النعم وهي العقل)([1]).

فكان نهج الأنبياء الرد على كل من أنكر بالأسلوب العقلي الذي لا يكون أمام المدعو إلا أن يسلم نفسه للدعوة،أو أن ينكرها بجحود وغطرسة وكبر،يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتاب الإيمان والحياة(فلا تكفي مخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساساً للاعتقاد،بل تتبع بالحجة الدامغة،والبرهان الناصع،والتعليل الواضح،الذي يملك العقول،ويأخذ الطريق للقلوب)([2]) لذلك لا يوجد أي حوار بين نبي من أنبياء الله وبين أحد من قومه ،وكان الحوار

---

١)معروف زريق،**علم النفس الإسلامي**،الناشر:دار المعرفة،الطبعة الأولى،ص٨٧

(٢)د.يوسف القرضاوي، **الإيمان والحياة**،الناشر:مؤسسة الرسالة،الطبعة السادسة عشر، ص٣٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحجج عقلية، إلا ووصل الطرف الآخر إلى التسليم الكامل و هو الأيمان الكامل، أو التسليم الضمني،ويكون ذلك بالانسحاب بطريقة توحي أن الطرف الآخر قد أستسلم وأفرغ ما في جعبته من ردود ، كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود ، أو التهديد بالقتل كما في قصة موسى عليه السلام مع فرعون،عندما عجز فرعون على الرد على موسى فقام بالتهديد بالقتل،فهذا جاء نتيجة وثمرة لأسلوب الحجج العقلية الرصينة،التي تحث العقل على تحليل الأفكار والمعطيات إلى جزئييات وفرزها بطريقة يستطيع العقل أن يخرج بنتيجة حتمية لا يمكن العدول عنها .

وللتوضيح نأخذ قصة موسى عليه السلام مع فرعون كما هي في سورة(طه) في قوله تعالى على لسان فرعون لموسى:(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧)) (١).

إن شخصية فرعون تتسم بالعدوانية والتي يفسر سلوكها الدكتور مأمون صالح فيقول(يتشابه سلوك الشخصية العدوانية مع الشخصية اللاإجتماعية أو الشخصية غير المتزنة انفعاليا،حيث تستجيب بنوبات وتتسم بسهولة الاستثارة واللجوء للتدمير لمجرد الإحباطات البسيطة)(٢).

وهنا لو أمعنا النظر في خطاب فرعون لموسى بالسؤال عن الرب فكان السؤال (فمن ربكما) فالسؤال موجه لموسى و هارون إلا أن فرعون جاء بالخطاب لموسى لأنه صاحب الدعوة ،وكذلك يستنبط من سؤاله أنه أراد أن يسمع الإجابة من موسى وليس من هارون لأن هارون أفصح لسانا من موسى،وهو أقوى بعرض الحجة،فآثر فرعون الإجابة من موسى ظنا

---

(١) سورة طه،الآيات (٤٩-٥٧)

(٢)د.مأمون صالح،**الشخصية بناؤها،تكوينها،أنماطها**،اضطراباتها،دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص٨٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منه أنه لا يستطيع الرد بالشكل المناسب،إلا أن موسى عليه السلام خيب آماله،وأجابه بأجوبة ما كان من فرعون في نهاية الحديث إلا أن يشكك في نوايا موسى عليه السلام،وأن الدعوة التي جاء بها هي في حقيقتها التخطيط لإخراج فرعون وقومه من أرضه وأن يستولي موسى على ملك فرعون .

إن الرد الذي جاء به موسى على سؤال فرعون عندما توجه فرعون بالسؤال إلى موسى عليه السلام للتعريف بالرب الذي يعبده موسى،يقول ابن عاشور (أجاب موسى بإثبات الربوبية لله جرياً على قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية بحيث ينتظم من مجموعهما قياس، فان فرعون من جملة الأشياء ، فهو داخل في عموم (كل شيء))([1]).

ويقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآيات ("قالَ رَبُّنَا الذِي أعْطى كلَّ شَيْءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَى" يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيبا: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه، يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم. أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا، وكالذكور من البهائم، أعطاها نظير خلقها ، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه ، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب، وغير ذلك)([2]).

فكانت هذه الإجابة لفرعون بمثابة الصاعقة ،حيث كانت إجابة لم ترد إلى ذهن فرعون بأنه سيجيب بتلك الإجابة ، وإلا لم يكن ليسأله حتى يضع نفسه بموقف حرج،لأن موسى عليه السلام أجابه بصفات الرب الذي لا يمكن لبشر عاقل أن يدعيها ولا يمكن للمخلوقات أن تشترك مع الله في هذه الصفات،وأبعد ما يكون عنها السائل فرعون الذي ادعى الألوهية ، فالله عز وجل هو الذي يخلق الخلق وهو أعلم بتدبير أمورهم ، فلا توجد قوة في الأرض تستطيع أن تعلم طفلا

([1]) -محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ،**التونسي التحرير والتنوير**، المعروف بتفسير ابن عاشور الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ط : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ج١٦ ص١٢٩(بتصرف)

([2]) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،مرجع سابق ج١٨ ص٣١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حديث الولادة كيف يلتقم ثدي أمه إذا جاع،ولا يوجد من يستطيع أن يعلم الدواب كيف تعيش حياتها وتتزاوج وتتكاثر وترعى شؤون حياتها .

هذه الصفات التي هي من خصوصية الخالق عز وجل،ولا يمكن لبشر أن يدعي قدرته على ذلك،صحيح أن فرعون ادعى الربوبية بقوله (أنا ربكم الأعلى)، إلا أن حقيقة الأمر كانت بسبب طبيعة الإضطهاد والقهر الذي كان يحكم به فرعون، فلم يجرؤوا على مناقشته بالأدلة ، لأن كل من يعترض عليه كان مصيره التنكيل والقتل.

هذه الإجابة المقنعة من موسى _عليه السلام_ أدت أن ينتقل فرعون للسؤال الآخر،ولم يعطي وقتا للنقاش في إجابة موسى _عليه السلام_،لأنه يعلم علم اليقين أن هذه الصفات ليست من صفات البشر،فآثر الانتقال للسؤال الثاني عله يجد حيرة من موسى في الإجابة عليه.

يقول سيد قطب رحمه الله:(وهذا الوصف الذي يحكيه القرآن الكريم عن موسى _عليه السلام_ يلخص أكمل آثار الألوهية الخالقة المدبرة لهذا الوجود : هبة الوجود لكل موجود . . وهبة خلقه على الصورة التي خلق بها . وهبة هدايته للوظيفة التي خلق لها . . وحين يجول الإنسان ببصره وبصيرته - في حدود ما يطيق - في جنبات هذا الوجود الكبير تتجلى له آثار تلك القدرة المبدعة المدبرة في كل كائن صغير أو كبير . من الذرة المفردة إلى أضخم الأجسام ، ومن الخلية الواحدة إلى أرقى أشكال الحياة في الإنسان)([1]) .

وفي قوله تعالى في سورة طه: (قالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى (٥١) قالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى (٥٢)) يقول الإمام ابن كثير في تفسيره:(أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال، { لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى } أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئا. يصف علمه تعالى بأنه

([1]) سيد قطب ، **في ظلال القرآن**،دار الشروق بيروت- القاهرة ،الطبعة الحادية عشر ج٤ص٢٣٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك.)([1]).

وإذا أمعنا النظر في سؤال فرعون عن القرون الأولى ظنا منه أنه قد أفلت من السؤال الأول بسؤال آخر هو أقوى وأعمق،حيث حاول أن يحرج موسى عليه السلام لعدم معرفة موسى بالأمم السابقة،فكان جواب موسى عليه الذي كان صريحا في إجابته،ودلت بشكل غير مباشر على عجز فرعون وعلى قصوره بمعرفة أخبار الأمم السابقة ، فالأمم السابقة لا يعلمها حق علمها إلا الذي خلقها ، و هذا فرعون لا يملك أدنى معرفة عن الأمم السابقة،فدل بإجابته _عليه السلام_على غاية الدقة،فهو في ناحية أجابه عن سؤاله ومن ناحية أخرى غير مباشرة أثبت له عجزه عن معرفة أحوال الأمم السابقة،وهذه الخصوصية إنما هي لله الواحد الأحد الذي خلق الخلق ويعرف كل ما يتعلق بهم .

ثم أنهى وصفه في ختام الآية بقوله (لا يضل ربي ولا ينسى) وصف موسى _عليه السلام_ الله _عز وجل_ بأنه لا يضل ولا ينسى،وهذه من كمال صفات الله عز وجل،يقول الإمام الطبري ("لا يَضِلُّ رَبِّي" يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحق ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي(ولا يَنْسَى) فيترك فعل ما فعْله حكمة وصواب.)([2]).

إن قول موسى _عليه السلام_ (لا يضل ربي ولا ينسى) فيه اقتحام للعقل البشري الذي مهما بلغ من درجات الكمال لا يمكن أن يصل إلى درجة الكمال المطلق،فالبشر كلهم معرضون للخطأ والنسيان ، وفي ذلك نوع من أنواع التهميش لفرعون في خطاب موسى له، حيث إن موسى _عليه السلام_ أظهر من صفات الله _عز وجل_ التي لا يمكن لبشر أن يشترك فيها مع الله، فالرحمة مثلا صفة مشتركة بين الله _عز وجل_ وبين عباده ،ولكن شتان مابين رحمة الله _عز وجل_ للعباد ورحمة العباد للعباد .

([1]) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، **تفسير القرآن العظيم** ،مرجع سابق ج٥ ص٢٩٨

([2]) الطبري، **جامع البيان**،مصدر سابق ،ج١٨ ص٣١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هذا الخطاب الذي جعل فرعون بعد سماعه لكل هذه الحجج العقلية،التي تثبت أن الله هو المستحق للعبادة،وليس البشر الذين هم عاجزون عن كل ما وصف به موسى _عليه السلام_ ربه،جاء رد فرعون الذي تضمن رده العجز عن مجاراة موسى _عليه السلام_،لأنه لا يملك أي حجة عقلية في الرد في الرد على موسى _عليه السلام_،بل إن رده كان التشكيك في حقيقة دعوة موسى _عليه السلام_،فدخل مدخل التشكيك في النوايا،حيث قال له في قوله تعالى :(قالَ أجِئتَنا لِتُخرِجَنا مِنْ أرْضِنا بسِحْرِكَ يَا مُوسَى)،فقام فرعون بالهروب من الحجج العقلية التي سمعها من موسى _عليه السلام_ في إثبات الربوبية لله،وبكل خباثة أصبح يشتت الخطاب مع موسى بإتهامه بالانقلاب على عرشه وملكه،وأن له خطة مشبوهة،وأن موسى عليه السلام يريد إخراج فرعون وقومه من أرضهم للاستيلاء عليها وعلى خيراتها .

هذا الانقلاب الذي اتهم به موسى _عليه السلام_ على لسان فرعون، ما هو في الحقيقة إلا تهرب من الرد على موسى _عليه السلام_ ،وتجنب الحجج التي لا يمكن لعاقل أن يبتعد عن الإيمان بها، إلا أن يكون معاندا أو متكبرا ،فجاء تحويل السياق من قبل فرعون من حوار عقلي وحجج عقلية دامغة إلى مسألة التشكيك في الانتماء والنوايا .

لا شك أن هذا المشهد القرآني،يبين أن حب السلطان للحكم وتمسكه به، من الشهوات التي تغيب العقل عن ما ينفعه في الدنيا والآخرة،ويؤكد على قوة حجة الأنبياء في التعامل مع دعوة أقوامهم لما هو خير لهم ،والتكلم معهم بمنهج عقلي رصين لا يمكن للعقل إلا التسليم والإنقياد .

وفي قصة إبراهيم _عليه السلام_ في دعوته أبيه في قوله تعالى:(إذ قالَ لأبيهِ يَا أبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)([1])، يقول سيد قطب رحمه الله (والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى،وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنا،فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان،بل إلى ما هو في

([1]) سورة مريم،الآية(٤٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان ، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرا ولا نفعا،إذ كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام كما هو حال قريش الذين يواجههم الإسلام)([1]).

في هذه الآيات نلاحظ أن إبراهيم _عليه السلام_ واجه أباه بخطاب عقلي وسؤاله له لماذا أنت تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي كما يقول الإمام الرازي (لا تدفع عنك ضر شئ،إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع)([2]).

جاء الخطاب العقلي من إبراهيم _عليه السلام_ لأبيه في صفات الإله الذي يعبده أبوه، وهذه الصفات السمع والبصر موجودة في غالب مخلوقات الله _ عز وجل_،فالإنسان يسمع ويبصر والحيوان كذلك والحشرات،فهذه الصفة إن كانت موجودة في أدنى المخلوقات،فهل يعقل أن تكون غير موجودة في الإله الذي يّعبد،فالعقل يحتم على الإنسان التعلق بمن هو أعلى منه صفة وقدرة،فكيف يمكن أن يتعلق أبو إبراهيم بمن يفتقر إلى أدنى المراتب التي يشترك بها غالب المخلوقات،فكيف بالإله الذي يعبد ؟

يقول الإمام الرازي في مفاتيح الغيب:(قوله لأبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يَبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ووصف الأوثان بصفات ثلاثة كل واحدة منها قادحة في الإلهية وبيان ذلك من وجوه أحدها أن العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها إلا من له غاية الإنعام وهو الإله الذي منه أصول النعم وفروعها على ما قررناه في تفسير قوله و إِنَّ اللهَ رَبّى وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ [آل عمران ٥١] وقال كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ [البقرة ٢٨] الآية وكما يعلم بالضرورة أنه لا يجوز الاشتغال بشكرها،ما لم تكن منعمة وجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها،وثانيها أنها إذا لم تسمع ولم تبصر ولم تميز من يطيعها عمن يعصيها فأي فائدة في عبادتها،وهذا ينبهك على أن الإله يجب أن يكون عالماً بكل المعلومات حتى يكون العبد آمناً من وقوع الغلط للمعبود، وثالثها أن الدعاء مخ العبادة فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي فأي منفعة في عبادته وإذا كانت لا تبصر بتقرب من يقترب إليها فأي منفعة في ذلك التقرب)([3]).

([1]) سيد قطب ،**في ظلال القرآن**،مرجع سابق،ج٤ ص٢٣١١

([2]) الرازي،**مفاتيح الغيب**،مصدر سابق،ج٢١ ص١٩١

([3]) الرازي،**مفاتيح الغيب**،مصدر سابق،ج١٨ ص٢٠١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا كان سؤال إبراهيم لأبيه عن كيفية عبادته لحجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تدفع عنه ضر أي شيء،ففي هذا المشهد الحواري العقلي وإدلاء إبراهيم _عليه السلام_ بحجة عقلية لا يراودها شكوك،ما كان من أبي إبراهيم عندما سمع هذا الكلام من إبراهيم _عليه السلام_ إلا أن يستخدم معه أسلوب القمع بالقوة فقال له:(لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا)يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآيات :(لأرجمنك بالكلام وذلك السب والقول القبيح، واهجرني مليا أي واهجرني حينا طويلا من الدهر)([1]).

فكان ذلك الرد من أبي إبراهيم على دعوة إبراهيم _عليه السلام_،الخالي من أي منهج عقلي في النقاش والحوار،فلم يعطه حجة مقابل حجة،بل ما كان منه إلا الأذى بالشتم وذلك نوع من أنواع الإساءة لإبراهيم _عليه السلام_ أمام قومه ، والهجران الذي يعد من أساليب القمع والعقاب النفسي لإبراهيم _عليه السلام_ .

يقول الإمام الزمخشري في الكشاف تعليقا على الآيات:(إن العبادة هي غاية التعظيم ، فلا تحق ، إلا لمن له غاية الإنعام : وهو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المثيب المعاقب ، الذي منه أصول النعم وفروعها . فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا ظلماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً ، وخروجاً عن الصحيح الذير إلى الفاسد المظلم ، فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور ؟ فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه،ولا يرى هيأة خضوعك وخشوعك له . فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه ، أو تسنح لك حاجة فيكفيكها)([2]).

هكذا يتبين لنا أن استخدام الحجج العقلية الدامغة هي نوع من أنواع الدعوة إلى الله عز وجل،هذا الأسلوب الذي لا يمكن للعقل مجابهته إلا بردود عقلية مثلها،وإلا لا يكون من ذلك العقل إلا التسليم بما يسمع من الداعية إلى الله والاستسلام إلى أمر الله،أو التسليم الضمني وذلك

([1]) المصدر السابق،ج١٨ ص٢٠٥

([2]) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٣ ص٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتنكر للعقل والتهرب من الإجابة على الأسئلة، واستخدام الأسلوب القمعي لثني الداعية لما يدعو إليه .

المطلب الثاني : في الاستدراج العقلي للوصول الى الحق

ننتقل في المنهج التحليلي إلى أسلوب الاستدراج في الدعوة ، هذا الأسلوب العقلي في الدعوة أسلوب رصين يضع الشخص المدعو نفسه في مأزق لا يمكن التهرب منه،فيفضحه على الملأ أمام الناس جميعا،ويبين ما هم به من خرافات وعقائد زائفة وأفكار منحرفة .

هذا الأسلوب ينطوي على حنكة وذكاء وفطنة من الداعية،وكما هو ممثل بأفضل الشخصيات وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم،يظهر لنا في بعض القصص القرآني من دعوة الأنبياء لأقوامهم من استدراجهم إلى الطريق الصواب والقول الحق بحنكة وذكاء،فهذا الأسلوب العقلي من الأساليب المتبعة في الدعوة إلى الله،حيث يصبح الشخص المدعو أمام مقدمات يقف عندها العقل ويحللها تحليلا منطقيا،يخرج من خلاله بنتائج وتصورات توافق ما أدت إليه المقدمات.

ويتضح لنا ذلك من الآيات القرآنية في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)([1]).

ويقول إبن كثير في تفسيره(والظاهر -والله أعلم-أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جوابًا لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع. وإنما أراد أن يَدّعي لنفسه هذا المقام عنادًا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت،كما اقتدى به فرعون في قوله: { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: { فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } أي: إذا كنت كما تدعي من أنك [أنت الذي] تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه

([1])سورة البقرة الآية (٢٥٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشمس تبدو كل يوم من المشرق،فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب. فلما علم عجزه وانقطاعه،وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة.)([1])،ويقول الأمام الرازي أن (إبراهيم_عليه السلام_ كان في غاية الصحة وذلك لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من القادرين والأحياء والإماتة كذلك لأن الخلق عاجزون عنهما)([2]).

لقد حاج إبراهيم _عليه السلام_ النمرود في صفة من صفات الله _عز وجل_ وهي الإحياء والإماتة،فكان المقصود هو أصل الإحياء والإماتة التي هي من خصوصيات الخالق عز وجل لا يشاركه فيها أحد من المخلوقات ، فقال له : (إن الله يحيي ويميت)، وكان إبراهيم _عليه السلام_ على علم تام بما يقول،فلم يجادله بصفة من صفات الله التي يشترك بها مع البشر،فلم يقل له إن الله رحيم أو قادر،لأن البشر يشتركون مع الله في هذه الصفات،ولكن شتان ما بين رحمة الله ورحمة العباد ، فالعباد لهم قدرة ورحمة محدودة،فكان وصف إبراهيم عليه السلام لربه بأنه قال (ربي الذي يحيي ويميت) هذا الوصف من إبراهيم _عليه السلام_ لله _عز وجل_ وصف دقيق،فهو الذي يخلق الخلق من العدم،وهو القادر على إحيائهم وإماتتهم،فهذا الوصف لله رب العالمين ، لا يشاركه فيه أحد .

فما كان من النمرود إلا أن قال (أنا أحيي وأميت) وكما نقل الإمام الطبري: (أنه دعا برجلين ففتل أحدهما واستحي الآخر، فقال: أنا أحيي هذا! أنا أستحيي من شئت، وأقتل من شئت! قال إبراهيم عند ذلك:"فإن الله يأتي بالشمس من المغرب فأت بها من المغرب"،"فبهت الذي كفر، فأثبت بالبرهان العقلي المحسوس أنه يحيي ويميت ،ولكنه تجاهل حقيقة أصل الإحياء والإماتة ، هذه الصفات التي تخص الله عز وجل ولا يشاركه أحد فيها من البشر)([3]).

في هذا الرد من النمرود لإبراهيم _عليه السلام_،ما كان سيدنا إبراهيم _عليه السلام_ عاجزاً أن يبقى معه في نفس النقطة من الحوار والجدل،لأن النمرود قام بتأويل حقيقة الإحياء والإماتة على طريقته ظنا منه أن إبراهيم _عليه السلام_ سيبقى عند هذه النقطة،ويحتدم الخلاف

([1]) ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**،مصدر سابق،ج١ ص٦٨٦

([2]) الرازي،**مفاتيح الغيب**،مصدر سابق،ج٧ ص٢١

([3]) الطبري،**جامع البيان** ،مصدر سابق.ج٥ ص٤٣٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينهما على معنى الإحياء والإماتة،حتى ينتهي الجدل من حيث بدأ،لأن أي نقاش لم يتفق فيه على تحديد المفاهيم والمصطلحات يبقى جدالاً عقيما لا يسمن ولا يغني من جوع،فكان من ذكاء إبراهيم _عليه السلام_ أن استدرج النمرود إلى حقيقة أخرى للوصول الى الحق،لا تقبل التأويل أو اللإلتواء في تحديد المقصود منها،فقال له إبراهيم _عليه السلام_:(إن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)فكان ذلك الاستدراج من إبراهيم عليه السلام بأن يعطيه حجة دامغة لا مجال فيها لحرب المصطلحات ولا للتأويل،أو التهرب من المعنى المراد،فكانت كالصعقة للنمرود كما صورها المشهد القرآني،فكانت كالصدمة التي تعرض لها ولم يستطع أن يجد مخرجا لما جاء به إبراهيم _عليه السلام_ ،فكان الفيصل في الجدال .

من هنا يتبين لنا أن على الدعاة أن يخرجوا من المواقف التي تحتمل التأويل من الطرف الآخر،حتى لا ينتهي الجدال من حيث بدأ،فلا بد لأي جدال أو نقاش أن ينبني على قواعد وأسس واضحة،والاتفاق على أرضية مشتركة لينطلق الحوار منها،حتى ينتهي إلى نتيجة لا يمكن الهروب منها.

إن تحدي النمرود لإبراهيم _عليه السلام_ في الجدل العقلي في إثبات الصفات الخاصة لله عز وجل لنفسه ، أدى به للوقوع في الاستدراج على يد إبراهيم _عليه السلام_،حيث استدرجه للنقطة التي وقف عندها النمرود منبهرا مهزوما،فسكوته عن الإجابة كان بمثابة النصر لإبراهيم عليه السلام وظهور الحق على ألسنة المدعو.

بهذا الذكاء النبوي الذي استدرج الكافر إلى مرحلة من الجدل _ والتي كانت قصيرة بالتوقيت القرآني حيث أنها لم تتجاوز البضع آيات _ أدت به في النهاية الى الاستسلام،ينبغي أن تكون قدوة للدعاة في استثمار هذا الأسلوب في دعوة الخصوم والأخذ بأيديهم إلى طريق الأمان،لأن أكبر الأدلة على إثبات كذب كلام الخصم أن تستشهد برأيه على ما تريد إثباته له ، فان العجز على الرد من الخصم من أكبر الأدلة على صدق الدعوة .

وفي مشهد آخر في القرآن الكريم في قوله تعالى (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)([1])

يقول سيد قطب رحمه الله (و عاد القوم ليروا آلهتهم جذاذا إلا ذلك الكبير! ولكنهم لم يرجعوا إليه يسألونه ولا إلى أنفسهم يسألونها : إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئا . و هذا كبير ها كيف لم يدفع عنها؟ لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال ، لأن الخرافة قد عطلت عقولهم عن التفكير،ولأن التقليد قد غل أفكارهم عن التأمل والتدبر .)([2])

في هذا المشهد القرآني نرى كيف أن إبراهيم _عليه السلام_ استخدم أسلوب الاستدراج العقلي في دعوة قومه وإثبات ما هم به من عقائد زائفة،وذلك بقيامه بتكسير الأصنام وتحطيمها إلى أجزاء،وهنا لنا وقفة حيث أن المشهد يتكرر في السيرة النبوية من حيث الاشتراك في المعطيات حيث أن قوم إبراهيم _عليه السلام_ يعبدون الأصنام،وقوم محمد _صلى الله عليه وسلم_ أيضا يعبدون الأصنام،إلا أن محمدا _صلى الله عليه وسلم_ لم يكسر الأصنام في بدايات الدعوة كما فعل إبراهيم _عليه السلام_ مع أن المعطيات لدى الحادثتين متشابهة من حيث المعبود و هي الأصنام،هذا الحدث يمكن أن نستنتج منه أن قوم إبراهيم عليه السلام وصلوا إلى مرحلة الاعتقاد المطلق بهذه الأصنام بأنها الرب المعبود،ولم يتسرب إلى عقولهم حقيقة التوحيد أو شيء من معانيه على خلاف الناس في الجاهلية لقوله تعالى : (أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)([3]) فوصلوا إلى مرحلة من الصعب أن يتم إقناعهم بالتخلي عن عبادتها ،فقام إبراهيم _عليه السلام_ بتحطيمها حتى نأتي بعد قليل ونقف على طريقته عليه السلام في استدراج قومه إلى الحقيقة المغيبة عن عقولهم،وهي عبادة الواحد الأحد .

أما بالنسبة للناس في الجاهلية وما كان من دعوة محمد _صلى الله عليه وسلم_ لهم دون المس بأصنامهم،يمكن أن نستوحي أن العرب في الجاهلية كان يوجد عندهم آثار وحي مثل ورقة بن نوفل،وكان عندهم اليهود والنصارى ولم يمسها الكثير من التحريف،والأمر الآخر قوله تعالى:(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ

([1]) سورة الأنبياء الآيات(٥٩-٦٨)

([2]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**،مرجع سابق،ج٤ ص٢٣٨٦

([3]) سورة الزمر،الآية(٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

)([1])يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآيات (أي هم كفروا بالله وإن سألهم سائل عمن خلق السماوات والأرض يعترفوا بأن الله هو خالق ذلك ولا يثبتون لأصنامهم شيئاً من الخلق فكيف يلتقي هذا مع ادعائهم الإلهية لأصنامهم . ولذلك قال الله { فأنى يؤفكون } أي كيف يصرفون عن توحيد الله وعن إبطال إشراكهم به مالا يخلق شيئاً .)([2])فلم يصل العرب في الجاهلية إلى الدرجة التي كان عليها قوم إبراهيم _عليه السلام_،لذلك تطلب الموقف التصرف بشكل مختلف في كلا المشهدين .

وبالعودة إلى حادثة إبراهيم _عليه السلام_ ،فلقد قام إبراهيم _عليه السلام_ بعمل خطة حتى يستدرج قومه ويستثير عقولهم حتى يصلوا إلى مرحلة التفكير المنطقي العقلي السليم الذي يمكن من خلاله معرفة حقيقة هذه الأصنام وبيان زيف عقيدتهم فيها،وإلا لو لم يكن السبب من وراء تكسير الأصنام إلا التكسير فقط لكان _عليه السلام_ نأى بنفسه،وأزال كل الشكوك التي تؤدي إلى اتهامه في النهاية،ولكن كانت الغاية من ذلك بيان ما هم فيه من غياب للعقل، وكيف أنهم يعبدون من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا،فقام بتكسير الأصنام وترك كبيرهم حتى يستدرجهم إلى السؤال، فعندما جاؤوا ورأوا الأصنام قد تحطمت قاموا على الفور بالسؤال (من فعل هذا بآلهتنا)، حتى انقادوا من أخبار قومهم أن الذي فعل هذا هو إبراهيم عليه السلام،فعندما جيء به وسألوه عمن فعل هذه الفعلة،ولم يتبادر لأذهانهم أن كبيرهم هو المتهم الأول لأنه الموجود في مسرح الجريمة،فكان سؤالهم هذا بمثابة الخيط الذي أمسك به إبراهيم _عليه السلام_ للرد عليهم،ولكن بأسلوب الاستدراج حتى يفكروا جيدا بما هم فيه من الضلال المبين ،فكان جوابه _عليه السلام_ (بل فعله كبيرهم فاسئلوهم ان كانوا ينطقون).

في هذا المشهد القرآني من الحوار والاستدراج للخصوم وبيان زيف ما يعتقد به قوم إبراهيم عليه السلام،يصور لنا القرآن حالهم من الإجابة التي سمعوها من إبراهيم _عليه السلام_ ،فكان منهم البهتان في البداية،فتراجعت ألسنتهم الحادة،وخفتت أصواتهم،وتوقفت عقولهم وقفة تفكير وتأمل في قوله تعالى(فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون)، هذه الإجابة الحاسمة من إبراهيم عليه السلام جعلت القوم يعودون إلى عقولهم والتفكير كيف أن هذه الآلهة لا تستطيع أن تحمي نفسها فمن باب أولى أنها لا تستطيع حماية غيرها،فهي ليست إلا

([1]) سورة العنكبوت الآية(٦١)

([2]) ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،مرجع سابق،ج٢٠ ص١٩٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبارة عن حجارة لا تسمع ولا تبصر،فكانت هذه الإجابة من إبراهيم عليه السلام مفتاحا لعقولهم، وفعلته هذه ما هي إلا استدراج لهم،حتى يتبين لهم الحق من الباطل،وما هو الإله الذي يستحق العبادة .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره (فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ"في أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم،وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها" فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ "أي أرعوَوْا ورجعوا عنه يعني عن إبراهيم، فيما ادّعوا عليه من كسرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم، فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال.)([1])

وهذه النكسة التي إنتكسوها بعدما رجعوا إلى أنفسهم وقاموا بالتفكير الصحيح ،إنما هي تابعة لشهوات النفس والكبر والاستعلاء على الحق،فبعدما انقلب الأمر رأسا على عقب ،وأصبح الأمر في صالح كفة إبراهيم عليه السلام ،واستدرجهم حتى اعترفوا هم بأنفسهم أنهم لا ينطقون ،كان قول إبراهيم عليه السلام (قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ(٦٧)) هنا جاء الرد الحاسم من إبراهيم عليه السلام، وقام بتسفيه عقول قومه وكان ذلك باستدراجهم حتى يقولوا هم بأنفسهم عن آلهتهم أنهم لا ينطقون،ولا يستطيعون رد الأذى عن أنفسهم فكيف بالبشر الذين يعبدونهم .

في نهاية هذه القصة قام قوم إبراهيم _عليه السلام_ بإقامة العقوبة عليه بسبب ما اقترف بحق الأصنام ،فكان الانتقال من الحوار العقلي إلى القمع والعقوبة الشديدة،وهذا يبين سقوط القوم أمام أنفسهم،حيث استطاع إبراهيم _عليه السلام_ انتزاع اعتراف منهم بحق آلهتهم ،ما كانوا ليصلوا إلى ذلك لولا أسلوب الاستدراج في الدعوة وبيان الحق كما فعل إبراهيم _عليه السلام_ ، فانتزع القول الحق منهم وتوظيفه في الرد عليهم بأسلوب عقلي في غاية الدقة والإحكام.

هذا الأسلوب الذي يجدر بالداعية الوقوف عنده والتأمل به،وكيف أنه أسلوب يعطي ثماره في إثبات ما يدعوا الداعية إليه بأسلوب عقلي،ويستخلص حجته من اعتراف خصمه له بطريقة ينقلب فيها السحر على الساحر،ويخرج الداعية في حواره وقد انتصر لما يدعوا إليه من قبل استدراج خصمه إلى غايته التي يريدها .

([1]) الطبري ،**جامع البيان**،مصدر سابق،ج١٨ص٤٦٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : في التحدي بالمعجزات

يقول الإمام الطبري في تعريف المعجزة: (ما احتج به الرسل التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها،الشاهد لهم على صدقهم)([1])، فهي أمر خارق للعادة يجريه الله عز وجل على يد نبي من أنبيائه تصديقا له ،ولا شك في أن المعجزات التي جاءت على يد نبي من الأنبياء هي أسلوب عقلي في دعوة العقل للتصديق والإيمان بالواحد الأحد، هذه المعجزة التي هي أمر خارق للعادة يقف عندها المدعو نظرة المتأمل،فتكون هذه المعجزة بمثابة أداة للنبي استعان بها وذلك بالدعاء إلى الله أن ينصره على قومه،فالمعجزة من الله تأتي لتصديق النبي في موقف من المواقف،مثل ناقة صالح _عليه السلام_ عندما طلبوا منه أن يخرج لهم من الصخرة (ناقة عشراء)،فجاءت لنفض الغبار الذي علق بعقل المدعو وتصفية له ولفكره،وتأمله العميق في هذه المعجزة التي لم يألفها عقله،ولم يقل بها أحد من البشر،فيراها وقد حصلت بشتى أشكالها،إن كانت حسية مثل ناقة صالح وانشقاق القمر،أو إخبار بالغيب أو غير ذلك،فكان التحدي بالمعجزة من الأساليب الدعوية العقلية للأنبياء في دعوة أقوامهم .

ويقول مناع القطان في كيفية أن القرآن الكريم حث العقل على التفكير والتدبر في معجزة الله الكبرى وهي الكون من حولنا(إن القرآن الكريم يجعل التفكير السديد والنظر الصائب في الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله،إنه يحث المسلم على التفكير في مخلوقات الله في السماء والأرض:"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" "آل عمران ١٩٠-١٩١"ويحثه على التفكير في نفسه، وفي الأرض التي يعمرها، وفي الطبيعة التي تحيط به:"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى" " الروم ٨" ،وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ" الذاريات ٢٠-٢١" "أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" الغاشية ١٧-٢١" ويثير فيه الحس العلمي للتفكير والفهم والتعقل: "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" البقرة ٢١٩" ،"وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"

([1]) الطبري،**جامع البيان**،مصدر سابق،ج١ ص٤١١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحشر ٢١"، "كذلِكَ نُفصِّلُ الآيَاتِ لِقوْم يَتفكرُونَ" يونس ٢٤" "إنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقوْم يَتفكرُونَ" الرعد٣".)([1]).

والسؤال المطروح هو أن الأنبياء كانوا دعاة لله عز وجل، ومؤيدين منه بمعجزات كثيرة،فكيف يمكن للداعية في هذا الزمن أن يستخدم هذا الأسلوب،مع العلم أن الدعاة ليسو أنبياء وهم غير مؤيدين بمعجزات ؟

والجواب على هذا التساؤل أن القرآن الكريم هو المعجزة الدائمة إلى قيام الساعة،فهو معجز ببيانه وقد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله في قوله تعالى:(وَإن كنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلنَا عَلى عَبْدِنَا فأتوا بسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكم مِّن دُونِ اللهِ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)([2]) .

وقوله تعالى: (أمْ يَقولونَ افتَرَاهُ قلْ فأتوا بسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إن كنتُمْ صَادِقِينَ)([3]).

وقوله تعالى:(أمْ يَقولونَ افتَرَاهُ قلْ فأتوا بعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إن كنتُمْ صَادِقِينَ)([4]).

يقول ابن عاشور في تفسيره:(ووجه ذلك أن القرآن قد اشتطت ألفاظه ومعانيه على ما لو تدبره العقل السليم لجزم بكونه من عند الله تعالى فإنه جاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلهما من فحول بلغائهم،وهم فيهم متوافرون متكاثرون حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته واعترف بعضهم بأنه ليس بكلام بشر. وقد اشتمل من المعاني على ما لم يطرقه شعراؤهم وخطباؤهم وحكماؤهم،وعلى ما لم يبلغ إلى بعضه علماء الأمم. ولم يزل العلم في طول الزمان يظهر خبايا القرآن ويبرهن على صدق كونه من عند الله فهذه الصفات كافية لهم في إدراك ذلك و هم أهل العقول الراجحة والفطنة الواضحة التي دلت عليها أشعارهم وأخبارهم و بداهيتهم ومناظرتهم،

([1]) مناع القطان،**مباحث في علوم القرآن**،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الطبعة الثالثة، ص٢٧٩

([2]) سورة البقرة،الآية(٢٣)

([3]) سورة يونس ،الآية(٣٨)

([4]) سورة هود،الآية(١٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتي شهد لهم بها الأمم في كل زمان، فكيف يبقي بعد ذلك كله مسلك للريب فيه إليهم فضلا عن أن يكونوا منغمسين فيه.)([1]).

والقرآن كما هو معجز في بيانه فهو معجز بالإشارات العلمية أو(دلائل النبوة)([2]) التي تطرق لها القرآن الكريم في ثناياه ،والتي كانت إلى يوم قريب من قبيل الأمور غير المكتشفة ،وفي نهاية الأمر يتشدق بعض من يدعون المعرفة أنهم اكتشفوا شيئا وعرفوا حقيقة كانت غائبة عنهم يظهر القرآن الكريم أن هذه الحقائق ذكرت في سوره وآياته.

إن هذه الإشارات العلمية هي الأجدر أن يتسلح بها الداعية في عصر طغت عليه الماديات،وأصبحت عجلة التقدم والتطور العلمي تسير بشكل أصبح الكثير من الناس يعجزون عن مجاراته.

في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي،يصبح الحديث عن منهج الدعوة بالأسلوب العلمي عن طريق الإشارات العلمية في القرآن الكريم أمرا ملحا من الناحية العملية،إذ أن التقدم في العلم والاكتشافات التي أصبحت الشغل الشاغل في هذا العصر،تمكن الداعية بأن يكون في أسلوبه الدعوي العقلي مخاطبا للعقول بالإشارات العلمية سواء الواردة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية،ولا يخفى على القارئ كم من علماء غربيين أسلموا بسبب آية من كتاب الله العزيز تشير إلى حقيقة علمية لم يتم اكتشافها إلا في القرن العشرين .

إن هذا الأسلوب في دعوة العقل للإيمان بالله عز وجل عن طريق طرح الدلالات في الإشارات العلمية_ في وقت أصبح من الصعب على كثيرمن المسلمين تذوق الإعجاز البياني للبعد عن اللغة العربية الفصيحة،وطغيان اللغة العامية على المجتمعات الإسلامية _قد أظهر فائدته وخاصة في التعامل مع الناس الذين سئموا الأسلوب الخطابي الذي يخلو من محاكاة العقل،وإثبات الدعوة بالأدلة والبراهين القاطعة التي أشار إليها القرآن الكريم من النواحي العلمية،وقام العلم الحديث باكتشافها كما في الآيات التي تتكلم عن تكون الجنين في بطن أمه ومراحل نموه .

([1]) ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**،مرجع سابق،ج١ ص٣٣٠

([2]) محمد الغزالي،**كيف نتعامل مع القرآن الكريم**،مرجع سابق،ص١٨٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا بد للداعية أن يواكب عصره وأن يكون جزءا منه،وأن يكون على علم في الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حتى يكون صاحب حجة قوية في عرض دعوته والنصرة لدينه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: منهج الاحتواء بالرعاية والحب

تمهيد:

الاحتواء لغة:من(حوى الشيء حواية استولى عليه)([1])واصطلاحا لم أجد من العلماء من تحدث عن التعريف الاصطلاحي ولذلك هو قريب من المعنى اللغوي فهو:قيام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بالالتحام معهم أسريا واجتماعيا والتغلغل في حياتهم ومعرفة كل شيء عنهم للاستيلاء على عقولهم ونفوسهم.

فكما ذكرت سابقا أن المنهج العقلي للأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل ليس بالضرورة أن يكون كلاما يعبر عنه من قبل الأنبياء فحسب،بل إن المنهج العقلي يكون موجودا حتى لو لم ينطق النبي بكلمة واحدة،فالمنهج الدعوي العقلي هو عبارة عن عامل جذب للعقول إن كان بالكلام والحجج العقلية،أو كان بالسلوك والتصرفات التي يكوّن العقل من خلالها أسلوبا للتفكير والتحليل يختلف،عما اعتاد عليه ويختلف عما ورثه عن آبائه وأجداده.

ونحن الآن بصدد الكلام عن منهج الاحتواء،هذا المنهج الذي اتبعه الأنبياء في الدعوة إلى الله وفي التعامل مع الناس وقضايا عصرهم،يقول محمد قطب في كتاب واقعنا المعاصر(كان رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يلقي أصحابه في دار الأرقم : يربيهم ويعلمهم العقيدة الصحيحة، ويربيهم عليها، وحين كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يربي أصحابه على العقيدة الصحيحة، كان ينشئ ـ بقدر الله ـ تلك النفوس العجيبة التي صنعت ما شاء الله لها أن تصنع من عجائب التاريخ ..بالقرآن .. بتوجيهاته الدائمة _صلى الله عليه وسلم_ .. بقيام الليل .. بالقدرة العملية في شخصه _صل الله عليه وسلم_ .. برعايته لهم في المحنة ..بالحب الفياض من قلبه العظيم لهم .. بكل تلك الوسائل مجتمعة، تأصلت العقيدة في قلوب ذلك الجيل المتفرد، فكانت تلك الطاقة الهائلة التي صنعت الأعاجيب ..)([2]) .

([1]) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات،حامد عبد القادر،محمد النجار، **المعجم الوسيط** ،دار النشر : دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية عدد الأجزاء:٢ ج ١ ص٢١٠

([2])محمد قطب،**واقعنا المعاصر**،مؤسسة المدينة للنشر ـ جدة،الطبعة الأولى، ص٤٨٨-٤٨٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال ذلك أضع بين يدي القارئ تأملات ووقفات عند بعض الآيات القرآنية التي تحكي لنا كيف أن النبي_عليه السلام_ كان جزءا لا يتجزأ من مجتمعه،فعلى الرغم من كفر أقوامهم وعنادهم إلا أنهم كانوا دائما في وسط أقوامهم يدعونهم ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم،وكانوا يضعون الحلول الجذرية لمعالجة المشاكل الاجتماعية التي تواجه مجتمعاتهم،وليس كما يساء الفهم للآية الكريمة (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ)([1]) حيث يظن البعض أن بلاغ الدعوة فقط يكون باللسان ،فهذا هو البلاغ الذي يدعيه بعضهم،فان لم يؤمنوا بالله قالوا ما علينا إلا البلاغ،ولكن نسوا صفة البلاغ الذي وصفه الله _عز وجل_ بأنه (المبين)، وهذا يدل أن على الدعاة أن يبذلوا كل الوسائل العقلية حتى يصبح البلاغ مبينا بالقول والفعل، فحقيقة البلاغ المبين أن يسخر الداعية كل قدراته العقلية والبدنية في الاتجاه الصحيح حتى يخرج في النهاية بمنهج دعوي يبرأ به إلى الله تبارك وتعالى.

وللبيان والتوضيح أكثر سأبين في المطلبين القادمين صورا من القرآن الكريم في منهج الاحتواء للأنبياء في دعوة أقوامهم، وكيف أنه منهج عقلي أصيل في الدعوة.

المطلب الأول:احتواء الأفراد والجماعات

لا شك أن الأنبياء كانوا جزءا لا يتجزأ من أسرهم وأقوامهم ومجتمعاتهم ،يقول الله عز وجل (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)([2]) نلاحظ أن الآيات الكريمة تعزز مفهوم الاحتواء وتصفه لنا،وكيف أن الأنبياء كانوا مثالا يقتدى في حرصهم على احتواء الأفراد والجماعات كل على حسب ما يحتاج.

وأضرب مثالا على احتواء الأنبياء للأفراد في قصة نوح عليه السلام مع ابنه،فلم يكن يدعوه بمجرد أنه نبي مرسل من الله يدعو كافرا لا يؤمن بالله عز وجل،وإنما كانت دعوة الأب المشفق على حال ابنه، يقول الله عز وجل: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ

([1]) سورة يس (١٧)

([2])سورة البقرة(١٥١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)([1]) يقول سيد قطب رحمه الله:(إن الهول هنا هولان،هول في الطبيعة الصامته ، وهول في النفس البشرية يلتقيان : "و هي تجري بهم في موج كالجبال" وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح،فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم،وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة،ويروح يهتف بالولد الشارد :{ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين } . . ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل :"قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء" .)([2]).

نلاحظ ما يحويه الخطاب من اللين بقوله _عليه السلام_ (يابني) و هذا لفظ لترقيق القلوب وتجييش المشاعر،في محاولة من نوح عليه السلام من احتواء ابنه وتذكيره بحب وحنان الأب لولده،في أسلوب الاحتواء هذا تدخل الكلمات الى العقل مباشرة من أوسع أبوابه،مع التذكير أن ابن نوح لم يستجب لنداء الأبوة،ولكنا نهتم بالمنهج القويم الذي سلكه نوح _عليه السلام_ في احتواء ابنه في الدعوة إلى الله _عز وجل_، فلم يتخل عنه بسبب كفره حتى أخذه الموج فكان من المغرقين،فهذا الأسلوب يبين للمدعو أن الذي يدعوه مرتبط به ارتباطاً كلياً،مما يجعله أقرب للعقول في تقبل الدعوة .

وهذا يوسف _عليه السلام_ عندما أدخل إلى السجن،كان مثال السجين المصلح للذين كانوا معه في السجن،يقول الله _عز وجل_ في سورة يوسف:(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)([3]) يقول الإمام الطبري في تفسير الوصف الذي وصف به الفتية يوسف عليه السلام بأنه من المحسنين:(قوله:(إنا نراك من المحسنين) ، قال: بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوي مريضهم ، ويعزّي حزينهم ، ويجتهد لربه . وقال: لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قومًا قد انقطع رجاؤهم،واشتد بلاؤهم،فطال حزنهم،فجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجَروا،إن لهذا أجرًا،إن لهذا ثوابًا. فقالوا: يا فتى، بارك الله فيك،ما أحسن وجهك، وأحسن خلقك،لقد بورك لنا في جوارك،ما نحبُّ أنا كنا في غير هذا منذ حبسنا،لما تخبرنا من

([1]) سورة هود(٤٢)

([2]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،مرجع سابق ج٤ ص١٨٧٨

([3]) سورة يوسف(٣٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأجر والكفارة والطُهارة،فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف، ابن صفي الله يعقوب،ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وكانت عليه محبَّة. وقال له عامل السجن: يا فتى، والله لو استطعت لخليت سبيلك ، ولكن سأحسن جوارك، وأحسن إسارك ، فكن في أيِّ بيوت السجن شئت.)([1]).

لا شك أن النبي أينما وجد وأينما حل يكون له التأثير الواضح على من حوله، فهذا يوسف _عليه السلام_ كان يقوم على المريض منهم،ويطعم الجائع منهم،فكان مع السجناء في السجن كعائلة واحدة،رغم أن منهم من لا يؤمنون بالله _عز وجل_، إلا أن ذلك لم يمنعه من المخالطة لهم والعيش معهم واحتوائهم بطريقة تمهد له من دعوتهم بكل يسر وسهولة وبأسلوب يدخل لعقولم من غير كبر أو تعنت منهم.

إن احتواء يوسف _عليه السلام_ لهم في السجن باحتكاكه بهم،هو ما دفع الفتية للتوجه لسؤال يوسف _عليه السلام عن الرؤى،فكان عليه السلام في الاندماج معهم قريب من قلوبهم وعقولهم ،وكان خطاب يوسف عليه السلام لهم بكلمة (ياصاحبي السجن) يقول سيد قطب رحمه الله (أنه يتخذ منهما صاحبين ويتحبب اليهما هذه الصفة المؤنسة ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة)([2]).

هذا الاحتواء الذي لقيه الفتية في السجن من حسن معاملة يوسف _عليه السلام_ لهم في احتكاكه بهم،أشعرهم أن يوسف عليه السلام هو واحد منهم،فلم ينعزل عنهم لأن غالبيتهم أصحاب سوابق،أو أنهم مجرمون أو أنهم كفار،بل عاملهم وأحسن إليهم وتودد إليهم حتى شعروا أن يوسف عليه السلام واحد منهم فجاء وصفهم له (إنا نراك من المحسنين).

عندما يشعر المدعو أن الداعية مهتم به،ويشعره بأنه شيء مهم وعضو فاعل في المجتمع ولا يمكن التخلي عنهم،ينتج عنه سلوك عقلي ومنطقي بتقبل هذا الداعية،والسماع لما

([1])الطبري،**جامع البيان** ،مرجع سابق ج١٦ ص٩٩ ،وقد خالف الطبري جمهور أهل السنة في تحديد من هو الذبيح،فجمهور أهل السنة هو اسماعيل عليه السلام،هذا الحديث بهذا المتن تحديدا غير موجود إلا في تفسير الطبري،أما ما جاء في كتب السنة من تحديد أن الذبيح اسحق فهي أحاديث ضعيفة.

([2]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،مرجع سابق ج٤ ص١٩٨٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدعو إليه،ويشعر بأن الاهتمام به واحتوائه من هذا الإنسان الذي يدعوه إلى طريق الخير سبب من أسباب تقبل الدعوة .

إن كل فرد من أفراد المجتمع بحاجة إلى احتواء واهتمام به وبمشاكله والتعرف على حياته بشكل يعطي الفرصة للداعية الدخول عليه من الأمور التي يفتقدها في حياته،فالدعوة ليست عبارة عن منهج نظري،إنما هي أسلوب عملي يتجسد الداعية بقواعد الدين فيصبح كالشمعة التي تحترق لتضيء ما حولها.

أما عن احتواء الأنبياء _صلوات الله وسلامه عليهم_ للجماعات فان خطاب الأنبياء الموجه الى أقوامهم كان بكلمة (ياقوم) رغم كفرهم ومعاصيهم وإساءتهم لهم،فهي كلمة تدل على عدم التخلي عنهم،وهي أيضا كلمة ترقق بها قلوب المدعوين لله تعالى،وذلك يبرز في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى (وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذكرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن العَالَمِينَ) [1]وقوله تعالى(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[2] وقوله تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)[3] وقوله تعالى (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[4]وقوله تعالى (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[5]وقوله تعالى (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي)[6]٠

---

(1) سورة المائدة(٢٠)

(2) الأعراف (٥٩)

(3) الأعراف (٦٥)

(4) الأعراف (٧٣)

(5) الأعراف (٨٥)

(6) طه (٩٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان الأنبياء دائما في وسط أقوامهم يدعونهم إلى الخير،ويذسبونهم إلى أنفسهم ولم يتركوهم بمجرد أن لقوا منهم تكبرا وعنادا وكفرا بالله،فكان الخطاب الدائم منهم بصيغة (ياقوم) ،و هذا يدل على احتواء الأنبياء لهم بالخطاب وكذلك بأسلوب التفاعل مع المجتمع،فلم يكن الأنبياء انعزاليين أو انطوائيين،فكانوا عناصر فاعلة في مجتمعاتهم،يتعاملون في بعض الأحيان بأسلوب اللين،وأحيانا أخرى بأسلوب التسامح لما كانوا يتعرضون للأذى المادي والنفسي،فكانوا يصبرون على ذلك.

إن منهج الاحتواء وبهذا الأسلوب من الأنبياء في خطاب قومهم والتودد إليهم،يدلنا على أصل عظيم من أصول الدعوة وركن من أركانها ألا وهو الحب .

فخطاب الأنبياء لأقوامهم بصيغة (ياقوم) تدل على أثر الحب العميق لأقوامهم،فهم يكرهون الكفر والمعاصي التي يقترفونها،ولكنهم يحبون لهم الخير ويخافون عليهم كدليل حرصهم على دعوتهم لدين الله وتجنيبهم العذاب في الدنيا والآخرة،كمايقول صاحب كتاب إغاثة اللهفان: (فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهما مبدأ لجميع الأفعال)([1]) فالحب أصل نجاح لكل داعية أو قائد أو معلم الناس الخير،فلا يتصور دعوة من شخص يبغضه الآخرين فالحب كما أسلفنا سابقا من عوامل جذب العقول،يقول ابن تيمية رحمه الله: (أَنَّ الْمُحِبَّ يَجْذِبُ وَالْمَحْبُوبَ يُجْذَبُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا جَذَبَهُ إلَيْهِ)([2]) فالحب هو أساس للقرب من العقول وعامل جذب لا يمكن إنكاره،يقول ابن تيمية (الحب أصل كل عمل)([3]).

وكذلك كان من ميزات منهج الاحتواء،أن الأنبياء _صلوات الله وسلامه عليهم_ كانوا عند طرحهم الدعوة أمام أقوامهم،ودعوتهم للإيمان بالله ونبذ ما يعبدون من دون الله،وترك ما ورثوه من عادات وتقاليد،كان من الطبيعي أن يسمع الأنبياء أسئلة واعتراضات من أقوامهم عن

([1])محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، الناشر : دار المعرفة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ تحقيق : محمد حامد الفقيعدد الأجزاء : ٢ ج٢ ص١٢٣

([2]) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني . **مجموع الفتاوى**،مرجع سابق ج١٠ ص٦٠٦

([3]) أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، **قاعدة في المحبة**، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة تحقيق : د. محمد رشاد سالم عدد الأجزاء : ١ ص٤٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الدعوة التي لم تألفها عقولهم وآذانهم،فلم يكن من الأنبياء _صلوات الله عليهم_ إلا أن تركوا لهم حرية الرأي والتعبير عما يجول في خاطرهم،وطرح أفكارهم بكاملها حتى يخرجوا كل ما يدور بخاطرهم .

ويظهر لنا ذلك في قوله تعالى في قصة هود _عليه السلام_: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠))([1])،فنشعر أن الحوار بين هود عليه السلام و بين قومه فيه نوع من إعطاء الفرصة لهم للتعبير عن رأيهم،على الرغم من الإساءة التي تعرض لها .

فكان احتواؤهم بسماع أقوالهم وأفكارهم إلى نهاية الكلام،كما يقول الشيخ محمد الغزالي:(فلا بد أن أقول للآخرين:"هاتوا برهانكم"..وإلا،كيف أحاورهم؟!وكيف يتم إقناعهم دون أن أسمع إلى ما عندهم ؟!لا بد أن أعرف ما عندهم معرفة دقيقة،وصحيحة ،دون تزييف.. و هم الذين يصورون وجهة نظرهم،لا أنا،حتى أكون سامعا لكل ما لديهم بدقة..وهذا هو الإنصاف..وديننا دين الإنصاف)([2]) فهذه النظرة أدت بالأنبياء إلى تفهم أحوالهم،ودعوتهم بما يرونه مناسبا لعقولهم حتى تؤتي الدعوة ثمارها.

إن ترك الناس يعبرون عما يجول في خاطرهم،والإنصات لهم بشكل جيد يعطي انطباع للشخص المدعو أن هذا الداعية مهتم به وبمصلحته،فما يكون منه بعد الانتهاء من الكلام إلا أن يستمع جيدا للداعية وما يدعو إليه،فلا دعوة مقابل تكميم الأفواه والقمع،أو التكبر عن السماع للطرف الآخر،حتى لو كان على باطل،فقوم هود في الآيات السابقة قاموا بالتبرير الذي عرفه

([1]) سوره الأعراف (٦٥-٧٠)

([2]) محمد الغزالي،**كيف نتعامل مع القرآن**،مرجع سابق،ص(٢٨٥-٢٨٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصحاب كتاب علم النفس والشخصية: (أن ينتحل المرء سبباً معقولاً لما يصدر عنه من سلوك خاطئ أو معيب)([1]) .

إن ذلك الأسلوب العقلي في احتواء آراء الآخرين كان له الأثر الكبير على جذب العقول وجعلها تصغي كل الإصغاء،بعدما أن سمع لهم النبي كل ما يريدوا أن يقولوه،فعندما انتهوا من التعبير عن رأيهم، كان الأنبياء يتحدثون بكل ما يريدونه،و يدخلون معهم بحوار يكون كلا الطرفين قد سمع كلام الآخر،وهكذا فان حرية الرأي والتعبير للغير أسلوب احتواء لهم،فإذا تركناهم يتحدثون ونحن نسمع لهم فمن المعقول أن نتحدث و هم يسمعون لنا،لأذنا قمنا بتهيئتهم لذلك،أما من لا يعط المجال للآخر للتعبير عن رأيه فلن يتقبل السماع منهم مهما كانوا على درجة من العلم .

ورد في مسند عبد بن حميد(١١٢٣ - حدثني بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الذيال بن حرملة الأسدي عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه،ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا: يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله _صلى الله عليه و سلم_، ثم قال: أنت خير أم عبد المطلب، فسكت رسول الله _صلى الله عليه و سلم_،فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت،وإن كنت تزعم إنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة[2] قط أشأم على قومه منك،فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب،حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا،وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف،حتى نتفانى أيها الرجل إن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال رسول الله_ صلى الله عليه و سلم_**فرغت**،قال: نعم فقال رسول الله_ صلى الله عليه و سلم_ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فقال عتبة حسبك حسبك، ما عندك غير هذا قال: لا فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك فقال: ما

---

[1])د.نبيلة عباس الشوربجي،د.عفاف دانيال،**علم النفس والشخصية**،الناشر:مكتبة زهراء الشرق،الطبعة الأولى ٢٠٠٢م،ص٩٠

[2])السخلة هي الذكر والأنثى من ولد الضأن أو المعز،أنظر: **المعجم الوسيط**، ج١ ص٤ وهنا جاءت من باب الإساءة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تركت شيئا أرى أن تكلمونه فيه إلا وقد كلمته قالوا: فهل أجابك قال: نعم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود،قالوا:ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال، قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة)([1]).

نلاحظ أن النبي _عليه الصلاة والسلام_ في هذه القصة ترك عتبة يتكلم بما يريد،إلى أن عبر عن رأيه بشكل كامل،ولم يقاطعه النبي عليه الصلاة والسلام،حتى أنهى كلامه،ثم سأله هل فرغت .

يستنتج من هذه الحادثة أن الأنبياء كانوا يعطون الشخص المقابل حقه الكامل في التعبير عن رأيه،فهذا الأسلوب يضمن للداعية إصغاء كامل للمستمع أثناء دعوته لأنه بإعطائه المجال الكامل للتحدث،أفرغ ما عنده من تساؤلات، ومن ثم أصبح مهيأ لسماع كلام النبي ودعوته.

المطلب الثاني:احتواء المشاكل والأمراض الاجتماعية

إن منهج الأنبياء في احتواء الأمراض والمشاكل الاجتماعية التي كانت تعصف بمجتمعاتهم كانت من صلب اهتماماتهم،إذ لا يعقل أن تكون دعوة شاملة من نبي مرسل، وتهمل فيه المشاكل الاجتماعية والنفسية التي تحيط بهم، فاستمرارها يساعد في زيادة الانحراف والبعد عن تعاليم الدين،وان لم يعتبر عامل مساعد على الانحراف والضلال يعتبر عامل تأخير في الوصول للعقول،وطرح الدعوة بشكل يسهل على العقول تلقي الدعوة حيث أن المجتمعات الخالية من المشاكل مجتمعات صافية،وهي أقرب للفطرة من المجتمعات الفاسدة.

ولنا في ذلك قصة لوط _عليه السلام_ في قوله تعالى: (وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ)([2]) فقوله لقومه هؤلاء بناتي هن أطهر لكم نجد أن أكثر المفسرين توقفوا عند هذه الآيات في بيان هل هن بنات لوط _عليه السلام_ من صلبه،أم أنهن بنات قومه،مع عدم الالتفات إلى روح النص القرآني في كيفية معالجة الواقع الأليم،مع العلم أن

([1]) عبد بن حميد بن نصر، **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، الناشر : مكتبة السنة – القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي ص٣٣٧ حسنه الألباني،

([2]) سورة هود (٧٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الداعية ينطلق في دعوته من فهمه للقرآن الكريم وتفسيره بشكل يربط الدعاة مع الناس،وكما يقول أستاذي الدكتور زياد الدغامين (أن التفسير مرتبط بحياة الناس أولاً وآخراً،ولا ينبغي الكشف عن كون القرآن كتاب هداية ومنهج حياة،وبيان كونه مصلحا ومقوما لحياة الناس،بل صالحا ومصلحا لكل زمان ومكان)([1])،ويقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير هذه الآيات (قيل أراد بناته من صلبه،وأنه سمح بتزويجهم بهن بعد امتناع لصرفهم عن أضيافه، وقيل أراد بنات قومه في جملتهن لأن النبي في قومه كالوالد في عشيرته،ويعني أن الاستمتاع بهن بالزواج،أطهر من التلوث برجس اللواط،فانه يكبح جماح الشهوة مع الأمن من الفساد، وصيغة التفضيل هنا للمبالغة في الطهر)([2]).

وهنا مع إمعان النظر في منهج لوط _عليه السلام_ في احتواء الفساد الأخلاقي،حيث أن هذه المشكلة تفشت في المجتمع،وأصبح التنظير وإيجاد الحلول النظرية لا يجدي دون العمل على إيجاد الحلول العملية وتفعيلها على أرض الواقع،وذلك بالمبادرة من صاحب هذه الفكرة وهو النبي لوط _عليه السلام_ الذي يدعو لها،فلا يصح لنا أن نقترح حلولا لمشاكل معينة دون أن نكون نحن المبادرين بتطبيق الحلول،وإلا كان ذلك ضرباً من الكلام الذي لا فائدة له .

إن من حكمة الزواج أنه السبيل الوحيد،والأمين لاستمرار الفضيلة وصيانة المجتمعات الإنسانية عن الانحلال الخلقي،لأنه يعمل على الإشباع الجنسي والاستقرار النفسي،وتحصين الفروج من الوقوع في الحرام،والقناعة وغض البصر عن المحرمات،فبالزواج تسد أبواب الرذيلة تلقائيا،وينشغل كل بأهله،ويصبح كل واحد أمينا على شرفه وعرضه،وينصرف أفراده للعمل الجاد ، وهذا بدوره يؤدي إلى نظافة المجتمع وحفظه من الانحلال.

([1])د.زياد الدغامين، **نحو منهجية منضبطة لتفسير القرآن الكريم**،بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات،المعهد العالمي للفكر الإسلامي –الأردن،الطبعة الأولى ١٤١٥ه-١٩٩٤م،عدد الأجزاء ٢ ج١ ص٤٠٧

(٢) محمد رشيد رضا،**تفسير القرآن الحكيم المشهور (بالمنار)**، الناشر: دار المنار،الطبعة الثانية،١٣٦٦ه-١٩٤٧م،ج١٢ ص١٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن لوطاً _عليه السلام_ جعل مع الدعوة للابتعاد عن هذه الأفعال المنافية للفطرة السليمة منهجاً عقلياً،وذلك باحتواء هذه المشكلة وأن جعل لها حلولا و بدائل وذلك بالزواج الشرعي الذي يكبح جماح الشهوة،ويعود بالفطرة إلى مسارها السليم الذي خلقه الله لها .

إن الدعوة إلى الله مع وجود جريمة الشذوذ الجنسي أو الزنا،تحتم على الدعاة وعلى المجتمع إيجاد الحلول بالدعوة إلى التيسير في الزواج،لأن ذلك يساعد على خلق مجتمع نظيف تسوده الأخلاق الفاضلة،ويتمتع أهله بصفاء عقلي وذهني يساعد الداعية بالوصول بهم إلى الله عز وجل،فالعقول التي تشغلها الشهوات يصعب الوصول إليها.

هذه الدعوة من لوط _عليه السلام_ تؤكد على أن الدعاة عليهم مهمة الإصلاح في المجتمع وذلك بتوفير الحلول والبدائل عن المشكلات التي قد تدمر المجتمعات،فمجتمع صعب فيه الزواج بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة و غلاء المهور بسبب تعنت الأهل،أضف إلى ذلك انتشار الفساد الأخلاقي،فلا يكفي الإرشاد والتوجيه بل لا بد على الداعية والمجتمع من التعاضد والتكافل وإيجاد الحلول للمساهمة في عفة المجتمع،فلا يعقل أن تخاطب الناس وأن تعطيهم المواعظ الرنانة دون أن تجد حلولاً جذرية للمشاكل التي تحيط بهم.

إن لوطاً _عليه السلام_ عندما قال (هؤلاء بناتي) يدل على أن الإصلاح يأتي من أشراف القوم،فلوط _عليه السلام_ عندما عرض بناته للزواج لم يكن ذلك موقفاً معيناً أراد الهروب منه وهو أن لا يخزوه في ضيفه،وإنما جاء ذلك على عرض الزواج لمن أراد العفة،وأراد أيضا تيسير الزواج حتى يكون قدوة للناس،وأن لا يترددوا في عرض بناتهم على كل من أراد العفاف.

إن الدعاة الذين يعيشون هموم ومشاكل الناس هم الأقدر على التغيير،إذا صاحب القول الفعل،أما إذا اكتفينا بالتنظير والخطابة عن المشاكل والقضايا التي تمس مجتمعاتنا دون أن نلمس فعلاً على أرض الواقع،نبقى بعيدين كل البعد عن منهج الأنبياء العقلي في الدعوة إلى الله _عز وجل_.

إن منهج الاحتواء يضع الإنسان المدعو في أحضان المنهج النبوي،فيشعر الناس بمدى رحمة رب العالمين،أن هيأ لهم أنبياء يخافون عليهم ويجعلون لهم الحلول لمشاكلهم،فما يكون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهم إلا أن تستيقظ عقولهم،وتبين لهم ما هم فيه من ضلال،وكيف أن الأنبياء وضعوا لهم حلولا لأمراضهم النفسية ومشكلاتهم الاجتماعية التي من خلال تجاوزها يصل العبد إلى ربه وهو على يقين أن الله عز وجل هو الذي خلقه وهو الذي يدبر أمره.

إن العقل البشري يتقبل من الدعاة الذين توافق أقوالهم أفعالهم،وقد ذم الله عز وجل من لا يوافق قوله فعله بقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣))([1]).

يقول سيد قطب في تعليقه على هذه الآيات: (فالمسلم لا يبنى فردا إلا في جماعة،ولا يتصور الإسلام قائما إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط،وذات نظام،وذات هدف جماعي منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها،هو إقامة هذا المنهج الإلهي في الضمير وفي العمل مع إقامته في الأرض،وهو لا يقوم في الأرض إلا في مجتمع يعيش ويتحرك ويعمل وينتج في حدود ذلك المنهج الإلهي،والإسلام على شدة ما عني بالضمير الفردي وبالتبعة الفردية ليس دين أفراد منعزلين،كل واحد منهم يعبد الله في صومعة،إن هذا لا يحقق الإسلام في ضمير الفرد ذاته،ولا يحققه بطبيعة الحال في حياته،ولم يجيء الإسلام لينعزل هذه العزلة،إنما جاء ليحكم حياة البشرية ويصرفها،ويهيمن على كل نشاط فردي وجماعي في كل اتجاه،والبشرية لا تعيش أفرادا إنما تعيش جماعات وأمما،والإسلام جاء ليحكمها وهي كذلك،وهو مبني على أساس أن البشر يعيشون هكذا،ومن ثم فإن آدابه وقواعده ونظمه كلها مصوغة على هذا الأساس،وحين يوجه اهتمامه إلى ضمير الفرد،فهو يصوغ هذا الضمير على أساس أنه يعيش في جماعة،وهي والجماعة التي يعيشون فيها يتجهون إلى الله،ويقوم فيها على أمانة دينه في الأرض،ومنهجه في الحياة،ونظامه في الناس .)([2]).

([1]) سورة الصف(٢-٣)

([2]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،مرجع سابق،ج٦ ص١٩٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: منهج الترهيب والترغيب

تمهيد:

جبلت النفس البشرية على الخوف،كما فطرت على الطمع،لذلك كان من منهجية دعوة الأنبياء الى الله تعالى أن يثيروا هذه الكوامن الفطرية يجعلها تتعامل معه بشكل لا يغلب جانباً على جانب،فالعاقل اذا سمع الترهيب كان حذراً من العصيان ،وإذا سمع الترغيب ازداد صاعة لله _عز وجل_.

ان منهج الترهيب والترغيب من الأساليب العقلية التي استخدمها الأنبياء في الدعوة الى الله،فالعقل البشري له مشارب عدة،فتارة يصلح له الترهيب إذا كان من العقول المتكبرة على سماع الحق،والتي ترفض الانصياع أمام أوامر الخالق عز وجل،وتارة أخرى يصلح معها الترغيب لما احتوت عليه العقول من محبة الظفر بما تحقق به السعادة،فالترهيب والترغيب هو منهج الوسط الذي تجلى لنا في سيرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الدعوة إلى الله تعالى.

وإذا أردنا أن نضع تعريفا للترهيب والترغيب يقول صاحب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (فالترغيب: هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه ،والترهيب يكون بما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)([1]).

المطلب الأول: فلسفة الترهيب والترغيب لدى العقل البشري

فالترهيب والترغيب عبارة عن نوع من أنواع تنبيه العقول،وحثها على التفكير بما ينفع النفس وبما يسبب الضرر لها، وما هو الواجب فعله أمام هذه الدعوة،فالعقل هو بمثابة المقود للسيارة بالنسبة للنفس البشرية،فهو يحرك النفس كيفما يشاء، فالعاقل خلاف الجاهل؛ يحبس نفسه، ويمنعها عما يوبقها، ويردها عن هواها، ويمسك ما يعلمه، ويميز بين ما ينفعه وما يضره،في عاجله وآجله، لذلك يقول السيد غازي صبحي صاحب كتاب القرآن منهاج حياة (ان النفس البشرية أشبهُ بسفينة تجري في عباب البحر، فتارة تسير في هدوء وسكينة، وتارة أخرى

([1]) سعيد بن علي بن وهب القحطاني، **فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري**، ط ١ الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تاريخ النشر : ١٤٢١هـ عدد الأجزاء : ٢ ج١ص١١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحدق بها الأمواج الغاضبة والريح العاتية، فتضطرب مترنحة يميناً وشمالاً،وقد تصطدم بالصخور فتتحطم،أو يعلوها الموج فتغرق،أو تدركها رحمة الله تعالى فتنجو وتسلم. وإذا عرفنا ما انطوت عليه هذه النفس، أدركنا كم من الشهوات تعصف بها، وكم من رياح طيِّبة تهب عليها، وكم من أحاسيس متناقضة تستيقظ فيها، فتتدافع وتتصارع، ثمَّ لا تلبث أن تنحسر فاسحة الطريق أمام أقدرها على الثبات والصمود.)([1]) ،لهذا فالترهيب والترغيب يحدث في العقل نوعاً من إعادة التوازن،ويوضح ذلك الدكتور علي باداح صاحب كتاب مقومات الداعية الناجح بقوله(ذلك بعرض أمرين أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه، والآخر هو الشر المطلوب الترهيب منه، وذلك باستثارة العقل للتفكر في كلا الأمرين وعاقبتهما)([2])، للوصول في النهاية إلى نتيجة حقيقية مبنية مقدمات صحيحة تؤدي إلى نتيجة ترضاها العقول،وترتاح لها النفوس،فالحاجة للترهيب والترغيب أمر يطلبه الفرد والمجتمع،ويوضح ذلك الشيخ محمد الغزالي بقوله : (إنّ بذور الشر تنبت في أكناف المجتمع أول الأمر مخالفات محدودة محصورة الشأن،ولكنها مع الإهمال والاستهانة لا تزال تنمو وتغلظ حتى تفسد ما حولها،كالنبات الشيطاني عندما يترك فيكثر فيلتهم ما حوله)([3]) فالترهيب والترغيب أمر لا بد منه ولا غنى عنه،ولعل فيما قاله الشيخ محمد الغزالي أن(الخوف كمال نفسي،وليس مرضاً ولا شبه مرض)([4])،من أهم الأسباب التي تدعو إلى استخدام الترهيب والترغيب في الدعوة إلى الله تعالى.

ومن النواحي الاجتماعية يقول أحمد علي صاحب كتاب الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد أن(الترهيب والترغيب من العوامل الأساسية لتنمية السلوك وتهذيب الأخلاق وتعزيز القيم الاجتماعية)([5]) فلا يعقل أن تسير حياة وتستقيم دون وجود منهج الترهيب والترغيب،فالنفس تتوق إلى المعصية أحياناً،وأحياناً أخرى الرجوع والتوبة إلى الله فمع وجود

([1]) غازي صبحي،**القرآن منهاج حياة**، دمشق ط١ ج٣ ص١٣٦

([2]) د.علي عمر باداح، **مقومات الداعية الناجح** ،دار الأندلس الخضراء-السعودية ،ط١ ١٤١٧ه،١٩٩٦م ص(٥٩-٦٠)

([3]) محمد الغزالي،**في موكب الإيمان**،ط١،دار نهضة مصر،١٩٩٧م.ص(١٦٥).

(٤)محمد الغزالي،**مع الله دراسات في الدعوة والدعاة**،الناشر:دار الثقافة-الدوحة،ص٢٩٧

([5]) احمد علي بديوي،**الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد** ،القاهرة ،سفير،ط١ ص٦١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج كهذا يصبح الإنسان أمام رادع لسلوكه مع الله عز وجل،ومع المجتمع فتستقيم الحياة ويعم الخير.

فالإنسان العاقل المدرك لطبائع البشر يقر بأن الترهيب والترغيب منهج متوازن،يقول عدنان عرعور صاحب كتاب منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر(لذلك كان من الحكمة الجمع بين الترغيب والترهيب،والموازنة بينهما،بحيث تجعل العبد يعيش بين الخوف والرجاء، فإذا عاش المرء هذه الحال لم ييأس من رحمة الله،ولا يتواكل عليها، فيستقيم حاله)([1]) لذلك فان حسن الانتقال ما بين الترهيب والترغيب،منهج عقلي رصين يؤدي بدوره إلى وقوف العقل وقفة المتأمل في هذا المنهج،فيزيل عن العقل ما علق من غبار الكبر والتعنت على الله،ويصل إلى الحقائق التي غابت عنه لفترة من الزمن.

هذان الأسلوبان يجعلان الإنسان دائما في حالة من اليقظة ومراقبة النفس واجتهاد على العمل الصالح وإيقاظ الهمم، فالإيمان يزيد وينقص،فأحيانا يتحجر قلب الإنسان وفي أحيان أخرى يلين،فهذا المنهج كالدفة التي تجعل الإنسان يستقيم في حياته فمهما ابتعد عن الطريق الصواب لا بد له أن يرجع إلى الله تعالى .

إن عرض الجنة ونعيمها والنار وجحيمها أسلوب ناجح لإصلاح النفوس ولهدايتها ولتهذيبها ولكسر غرورها وكبريائها،ولحبسها عن معاصي الله،فالنفس البشرية بحاجة إلى تغيير الأسلوب الدعوي حتى لا يصبح التكرار في الدعوة نوع من أنواع الملل الذي لا يجد له صدى في العقول والنفوس.

هذا الأسلوب يبقي الناس دائما في لهفة وشوق إلى نعيم الجنة،وما أعد الله لهم من قرة أعين،وكذلك ينأى بالناس عن النار وكل ما يقرب إليها من قول أو عمل ،فبهذا تستقيم الحياة وتستقر النفوس وتعود إلى الله عز وجل،يقول محمد نعيم ياسين صاحب كتاب الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (فالإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الناس،ذلك أنّ الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب،وثواب وفوز وخسران له أشدّ الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه

([1]) عدنان بن محمد آل عرعور،**منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ص١٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجلّ،وشتان ما بين اثنين:أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله،ولا يقيده غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتيّة،وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين فيثاب على الخير،ويعاقب على الشر.فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته،والغاية عنده غاية أنانية تبرر أي وسيلة وأي خُلق وأي عمل،مهما كان ضرره.والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح،وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم)([1]) كما قال تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩))([2]).

المطلب الثاني:نماذج من سير الأنبياء في منهج الترهيب والترغيب

لا شك أن قصص الأنبياء مشتملة على منهج الترهيب والترغيب،حيث إن الله عز وجل وصفهم في قوله تعالى(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا) ([3])يقول الإمام القرطبي في تعليقه على هذه **الآيات**(أي بالترغيب والترهيب. قال الحسن: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة، يدل على ذلك قوله تعالى: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " [الأعراف: ٩٦].ومعنى (منذرين) مخوفين عقاب الله، فالمعنى: إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات،وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم

---

[1] محمد نعيم ياسين،**الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**،ج١،ط٣،دار النشر جمعية عمال المطابع التعاونية،عمّان،١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.ص(٧٤-٧٥).

[2] سورة الأعراف (٨-٩)

(3) سورة الكهف الآية(٥٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصدقهم.)([1]) وكذلك يقول ابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز (مبشرين " معناه بالثواب على الطاعة و " منذرين " معناه من العقاب على المعاصي)([2]).

ويقول ابي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية (فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين،وإليه داعين،ولمن أجابهم مبشرين،ولمن خالفهم منذرين،وجعل مفتاح دعوتهم،وزبدة رسالتهم،معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله،إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها)([3]).

يقول الله _عز وجل_ في قصة دعوة إبراهيم _عليه السلام_ لأبيه في قوله تعالى:(يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)([4]) نلاحظ في هذا المشهد القرآني خطاب إبراهيم _عليه السلام_ في دعوة أبيه حيث توجه له بالترهيب أولا وقال له:(اني اخاف أن يمسك عذاب) فهذا نوع من التهديد الذي يخشى منه كل صاحب عقل،فالعذاب شيء تنفر منه العقول وتسعى لتجنب الوقوع فيه لما فيه من الألم والشدة على النفوس.

يقول الإمام الرازي (واعلم أن إبراهيم _عليه السلام_ رتب هذا الكلام في غاية الحسن، لأنه نبه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان،ثم أمره بإتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد،ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول،ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي،ثم إنه _عليه السلام_ أورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق،فإن قوله في مقدمة كل كلام يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب)([5]).

([1])محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله،**الجامع لأحكام القرآن**،مرجع سابق، ج٦ ص٤٢٩

([2]) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م الطبعة : الأولى تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد عدد الأجزاء : ٥ ج١ ص٢٨٦

([3]) إبن أبي العز الحنفي،**شرح العقيدة الطحاوية**، دار النشر:المكتب الاسلامي –بيروت ،ط٤ ١٣٩١ه،ص٦٩

([4]) سورة مريم الآية(٤٥)

([5]) الرازي،**مفاتيح الغيب**،مصدر سابق،ج٢١ص١٩٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الإمام الخازن في لباب التأويل (ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي بقوله إني أخاف أن يَمَسَّك (أي يصيبك) عذاب من الرحمن (أي إن أقمت على الكفر) فتكون للشيطان ولياً (أي قريناً في النار ، وقيل صديقاً له في النار))([1]) **ولا شك أن** خطاب إبراهيم _عليه السلام_ لأبيه وجعله قريناً للشيطان شيء غير محبب للعقول،وتنفر منه النفوس مع العلم أنها تمشي على خطى الشيطان،ولكن العقل ينفر من كلمة الشيطان ويعتبره من الأشياء غير المرغوب فيها فكيف إذا كان للشيطان ولياً وقريناً؟...

وفي جانب آخر من القصص القرآني في قصة شعيب _عليه السلام_ في قوله تعالى على لسان هود _عليه السلام_ :(وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)) ([2]) يقول ابن كثير في تفسيره:({ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي } أي: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط من النقمة والعذاب،{ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } أي: استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، { إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ } أي: لمن تاب وأناب)([3]).

في هذا المشهد القرآني نلاحظ كيف أن هود _عليه السلام_ استخدم الترهيب والترغيب في دعوة قومه خوفاً من أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود من العذاب الذي حصل لهم بالدنيا،وكان ذلك بالنسبة لقومه حقائق تاريخية حيث لو أنها غير معروفة بالنسبة لقومه لما كان من العقل والمنطق أن يخوفهم بمصير تلك الأقوام،فمعرفة قومه بما حصل لتلك الأقوام، يحتم على تلك العقول الاعتبار،كما يقول الإمام الرازي (فكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار

([1]) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م عدد الأجزاء / ٧ ج٤ ص٢٤٨

([2]) سورة هود (٨٩-٩٠)

([3]) ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**،مرجع سابق،ج٤ ص٣٤٦(بتصرف)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطريق الأصوب الأصلح)([1]) لما في العذاب الذي حدث لقوم نوح وقوم هود من الوقع الشديد على النفوس والتي تسعى للبعد عنه والسلامة منه.

وبعد الترهيب من العذاب الذي قد يحصل لهم إن بقوا على العناد والمكابرة والكفر والطغيان،جاء الترغيب وذلك بالتذكير بصفات الله عز وجل بأنه رحيم ودود (والودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم)([2]) .

وهذه الصفات تجذب العقول وترتاح لها النفوس،وهذه الدعوة أيضا أتت من نبي كريم ودود لقومه،فالودود من عباد الله كما قال أبو حامد الغزالي: (من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه،وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه،كمن قال منهم أريد أن أكون جسرا على النار يعبر علي الخلق،ولا يتأذون بها وكمال ذلك أن لا يمنعه عن الإيثار والإحسان الغضب والحقد وما ناله من الأذى)([3]) وهذا النبي محمد عليه الصلاة والسلام عندما كان يؤذيه قومه كما ورد في صحيح البخاري باب إذا عرض الذمي بسب النبي صلى الله عليه و سلم ولم يصرح نحو قوله السام عليكم (حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني شقيق قال قال عبد الله : كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه و سلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))([4]) ،وكما يقول سيد قطب رحمه الله(وهكذا يطوف بهم في مجالات العظة والتذكر والخوف والطمع ، لعل قلوبهم تتفتح وتخشع وتلين .)([5]).

([1]) الرازي،**مفاتيح الغيب**،مرجع سلبق،ج١٨ ص٣٨٩

([2]) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، الناشر : الجفان والجابي – قبرص الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ص١٢٢

([3]) المرجع السابق،ص١٢٢

([4]) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، باب إذا عرض الذمي بسب النبي صلى الله عليه و سلم ولم يصرح نحو قوله السام ،مصدر سابق ج٥ ص ٢٥٣٨

ومسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**،باب غزوة أحد ،مصدر سابق،ج ٣ ص١٤١٧

([5]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق،ج٤ ص١٩٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هكذا يجب أن يتعامل الداعية مع الشخص المدعو وذلك باعتبار عقله كفتي ميزان،إذا ارتفعت واحدة عن الأخرى وجب تعديلها،فإذا كان جانب الترهيب بحاجة إلى تعزيز قام بزيادة الدعوة من باب الترهيب،وإذا كان العكس زاد في باب الترغيب،هكذا حتى تتوازن الدعوة وتصبح مقبولة للعقول،فلا يعقل دعوة كلها ترهيب وتخويف دون ترغيب،فنخشى عليها من اليأس والقنوط،وكذلك لا يعقل دعوة كلها ترغيب دون ترهيب،فنخشى عليهم من الاتكال،حتى يبقى الإنسان بين الخوف والرجاء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع:منهج التدرج

تمهيد:

إن منهج التدرج في الدعوة منهج الأنبياء و سنة الله في خلقه،وكما قال الدكتور محمد منير حجاب عن التدرج بأنه(أسلوب منطقي في لغة الخطاب الديني،وفي مجال الفكر،ويعني أن نبدأ بالعقيدة قبل العبادة،وبالعبادة قبل منهج الحياة،وبالكليات قبل الجزئيات)([1]) فهو حقيقة لا يمكن إنكارها،ولا يتصور دعوة إلى الله دون تدرج سواء كان ذلك في مضمون الدعوة أو في الشخص المدعو،أو في الأسلوب المتبع في الدعوة،يقول الشيخ محمد الغزالي:(والذي نقرأه عند علمائنا في ذلك هو الاقتصار على بحث التدرج في التشريع،ويأتون لذلك بمثال على تحريم الخمر،وتغيب سنة التدرج في :العقيدة،والعبادة،والدعوة،وتهمل كل المعاني التربوية لسنة التدرج) ([2])،فليس من السهل تغيير ما ألفته العقول،و ما اعتادت عليه النفوس،لذلك كان منهج الأنبياء التدرج في الدعوة،وهي سنة الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز حيث كان التدرج في التشريع كما كان التدرج في تحريم الخمر،وكذلك التدرج في التحدي للكفار بأن يأتوا بمثل القرآن في قوله تعالى(قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ([3]) ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله في قوله تعالى { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[4] ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله في قوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)([5]) فكان التحدي لهم تدريجيا حتى يثمر هذا النهج وينفضح أمر المخالفين.

([1])د.محمد منير حجاب،**تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر**،الناشر:دار الفجر،الطبعة الأولى،ص٢٨٨

([2]) محمد الغزالي ،**كيف نتعامل مع القرآن**،مرجع سابق،ص١٢٧

([3]) سورة القصص(٤٩)

([4]) سورة هود (١٣)

([5]) سورة البقرة(٢٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قصة بعث النبي _عليه الصلاة والسلام_ معاذا إلى اليمن،فقد ورد في صحيح البخاري(حدثنا محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا زكريا بن إسحق عن يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)([1]) فرتب له الذبي عليه الصلاة والسلام دعوته لأهل اليمن وبدأ بالأهم ثم المهم،فبدأ بالتوحيد فان قبلوا ذلك وأطاعوك فأخبرهم عن فريضة الصلاة فان أطاعوك فأخبرهم فريضة الزكاة،فكان ذلك تدرجا في الدعوة والذي يفهم من قوله عليه الصلاة والسلام أنهم أن رفضوا واحدة من هذه البنود لا تذهب الى التي تليها،فلا يعقل أن تدعوا إنسانا إلى الصلاة، وهو يشرك بالله في القول أو الفعل،فالأصل التسلسل بالأولويات .

وكذلك عندما يعلم أغنياء اليمن أن الزكاة التي فرضها الإسلام ليست ضريبة تجبى منهم إلى غيرهم، بل تؤخذ منهم وترد عليهم؛ حينئذ يسهل أمر دفع المال؛لأن المال عزيز على النفس،وطبيعة والنفس حريصة عليه،وحريصة على تحصيله،وشحيحة في إنفاقه.

لذلك قمت بتقسيم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب وذلك من حيث التدرج في موضوع الدعوة وفي الشخص المدعو وفي الأسلوب.

المطلب الأول:في موضوع الدعوة

إن الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة،لأخذ الناس بالأولى فالأولى، فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول،يقول الدكتور علي عبد الحليم محمود في كتابه فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم (فالعقيدة أساس العمل ومعنى ذلك أن العمل أيا كان عمل قلب أو جارحة ما لم يكن نابعا عن عقيدة وإيمان،وترجمانا لذلك فلا وزن له ولا

([1]) البخاري،**الجامع الصحيح**،مرجع سابق، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث،ج٢ ص٥٤٤،رقم الحديث١٤٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيه،بدليل أن أعمال الكفار لا وزن لها ولا قيمة لها عند الله،لأنه لم يذبع إيمان بالله)([1]) فهي إن لم تصح في العقل فلن يجدي فيه الصنيع الحسن والعمل الطيب ،ففي الدعوة كليات وجزئيات،وواجبات ومستحبات،ومحرمات ومكروهات،وقضايا صغرى وكبرى،وكلٌ يجب أن توضع في مواضعها،لذا قدم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم للناس جميعاً كل وسائل الإقناع،والبراهين العقلية والحسية،والإرشاد إلى الإيمان الصحيح وتوحيد الله،ونبذوا كل أشكال الوثنية والشرك،ثم أرشدوهم إلى ما فيه السعادة في الدنيا والآخرة،ودلوهم على طرق الخير والبر والإحسان،وشدوا الأنظار نحو التأمل في الكون،ونبّهوا العقول وأيقظوا الضمير والوجدان،وحاربوا الموروثات السيئة والتقليد الأعمى للآباء والأجداد،من أجل تغيير العقيدة الفاسدة وإصلاح الأخلاق،ووضع الأنظمة الصالحة للحياة الهانئة السعيدة المستقرة،والتخلص من فوضى الكفر والوثنية .

فكان نهج الأنبياء في الدعوة إلى الله هو الدعوة إلى أساس الدين و هو التوحيد،يقول الله تعالى في كتابه العزيز على لسان نبيه نوح:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)([2]).

وعلى لسان هود _عليه السلام_ في قوله تعالى:(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)([3]) .

وعلى لسان صالح_عليه السلام_ في قوله تعالى:(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)([4]).

([1]) د.علي عبد الحليم محمود،**فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم**،الناشر:دار التوزيع والنشر الإسلامية،الطبعة الأولى ص١٦٧

([2]) سورة الأعراف،الآية (٥٩)

([3]) سورة الأعراف،الآية(٦٥)

([4]) سورة الأعراف،الآية(٧٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى لسان شعيب _عليه السلام_ في قوله تعالى:(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)([1])، فكانت الدعوة الى توحيد الله تعالى هي اول ما دعا اليه الأنبياء قال تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ)([2]) فلا يصلح لمجتمع أن تدعو فيه إلى الصلاة والصيام وتحث على ترك المعاصي وهذه المجتمعات تشرك بالله،أولا تؤمن به أصلا،فبعد الإيمان بالله تسير الدعوة بمنهاج التدرج في سلم الأولويات،فالأنبياء ساروا في خطوات الإصلاح الاجتماعي والفردي،ولم يفاجئوا الناس بجميع بنود التغيير والإصلاح،وإنما روّضوهم على تقبل أحكام الشريعة ببطء،وانتظار وقت غير قصير.

ويتضح لنا ذلك في قصة شعيب _عليه السلام_ مع قومه وكذلك في قصة لوط عليه السلام مع قومه.

ففي قصة شعيب _عليه السلام_ يقول الله تعالى :(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦))([3]).

هكذا منهج الأنبياء كلهم في الدعوة بالتدرج والسير من خلال سلم الأولويات فكان من شعيب _عليه السلام_ أن دعاهم إلى عبادة الله،ونبذ الشرك وعبادة الأوثان،ثم توجه إلى دعوتهم للكف والبعد عن إنقاص الكيل والميزان،و هذا ما يفسر بالفساد الاقتصادي،فكان من شعيب _عليه السلام_ أن اهتم بدعوتهم إلى ترك تلك الأساليب في البيع والشراء،لأنه قد تفشى بمجتمعهم الفساد الاقتصادي،الذي لا يوجد مبرر عقلي له،يقول الإمام الطبري في قوله تعالى

([1]) سورة الأعراف،الآية(٨٥)

([2]) سورة الأنبياء،الآية(٢٥)

([3]) سورة هود،الآيات (٨٤-٨٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(إني أراكم بخير)قال:(الغنى ورخص السعر)([1]) فهم في غنى ورخاء اقتصادي وهذه التصرفات التي تنشأ من المعاملات المالية في البيع والشراء وما يوجد فيها من تطفيف وسرقة لأموال الناس وصفها شعيب عليه السلام بقوله(ولا تعثوا في الأرض مفسدين) فشمل الفساد الأرض كلها،لأن الفساد الاقتصادي يتأثر به الناس جميعا من غلاء أسعار وغير ذلك.

يقول الدكتور كمال محمد عيسى في كتابه مفاهيم إيمانية(هكذا يربط نبي الله شعيب عليه السلام بين قضية التوحيد وقضية الأمانة والعدالة في التعامل بين الناس،ولا شك أن الصلة بينهما وثيقة،فالدين أمانة لله تعرض على من آمن بها واعتنقها،وإتباع شرع الله والنزول عند أوامره،من الأمانة في التعامل والإنصاف في السلوك)([2]).

لا شك أن مجتمع قوم هود _عليه السلام_ مجتمع لا يخلوا من الفساد الاقتصادي والفساد الأخلاقي والفساد الاجتماعي،إلا أن شعيبا _عليه السلام_ بدأ بالتوجيه للإصلاح الاقتصادي الذي كان يشغل المجتمع في ذلك الوقت،فليس من العقل والحكمة أن يبدأ بدعوتهم في أمور فرعية وترك الأمور المتفشية في المجتمع،والتي تسبب الخطر الكبير عليهم لما في ذلك من إنشاء العداوة والبغضاء بين الناس،لما في الفساد الاقتصادي من أكل أموال الناس بالباطل،فدعوة شعيب لقومه وتركيزه على إصلاح الجانب الاقتصادي،فيه نوع من مخاطبة العقول،حيث أنه يدعوهم إلى ترك أمر عظيم استحكم فيهم،فاستدعى بكلامه أن يجذب إليه الناس لأنه يتكلم بأشياء تهم كل فرد في المجتمع،فكان في تدرجه في الدعوة منهجا عقليا حكيما لابد وان يجني ثماره كل من عمل به.

يقول صاحب التحرير والتنوير:(فابتدأ بالأمر بالتوحيد لأنه أصل الصلاح ثم أعقبه بالنهي عن مظلمة كانت متفشية فيهم وهي خيانة المكيال والميزان،وقد تقدم ذلك في سورة الأعراف،وهي مفسدة عظيمة لأنها تجمع خصلتي السرقة والغدر،لأن المكتال مسترسل

([1]) الطبري،**جامع البيان في تأويل آي القرآن**،مرجع سابق،ج ١٥ ص٤٤٤

([2]) د.كمال محمد عيسى،**مفاهيم إيمانية**،الناشر:النادي الأدبي الثقافي-جدة،ص٣٦٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مستسلم،ونهاهم عن الإفساد في الأرض وعن نقص المكيال والميزان،فعززه بالأمر بضده و هو إيفاؤهما.)([1]).

و في قوله تعالى في قصة لوط _عليه السلام_ مع قومه:(كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦))([2]).

ونرى هنا كيف تدرج لوط _عليه السلام_ في دعوة قومه حيث بدأ معهم بالدعوة إلى تقوى الله وتوحيد رب العالمين،وبعد ذلك توجه عليه السلام إلى الأمور الأولى في الدعوة و هو إبعاد قومه عن الانحلال والفساد الأخلاقي الذي تفشى بهم،يقول سيد قطب رحمه الله (إن الاعتقاد في الله الواحد يقود إلى الإسلام لسننه وشرعه،وقد شاءت سنة الله أن يخلق البشر ذكرا وأنثى،وأن يجعلهما شقين للنفس الواحدة تتكامل بهما؛وأن يتم الامتداد في هذا الجنس عن طريق النسل؛وأن يكون النسل من التقاء ذكر وأنثى،ومن ثم ركبهما وفق هذه السنة صالحين للالتقاء،صالحين للنسل عن طريق هذا الالتقاء،مجهزين عضويا ونفسيا لهذا الالتقاء،وجعل اللذة التي ينالانها عندئذ عميقة،والرغبة في إتيانها أصيلة،وذلك لضمان أن يتلاقيا فيحققا مشيئة الله في امتداد الحياة؛ثم لتكون هذه الرغبة الأصيلة وتلك اللذة العميقة دافعا في مقابل المتاعب التي يلقيانها بعد ذلك في الذرية،من حمل ووضع ورضاعة،ومن نفقة وتربية وكفالة،ثم لتكون كذلك ضمانا لبقائهما ملتصقين في أسرة،تكفل الأطفال الناشئين،الذين تطول فترة حضانتهم أكثر من أطفال الحيوان،ويحتاجون إلى رعاية أطول من الجيل القديم)([3]).

في هذا المشهد القرآني نجد أن القرآن الكريم ركز في دعوة لوط _عليه السلام_ بمحاربة الفساد الأخلاقي،وكذلك شعيب بمحاربة الفساد الاقتصادي مع أن الأنبياء كانوا دعاة

([1]) ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،مرجع سابق،ج١١ ص٣٠٩

([2]) سورة الشعراء(١٦٠-١٦٦)

([3]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،مرجع سابق،ج٣ ص١٣١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكل فضيلة وناهين عن كل رذيلة،إلا أن الله _عز وجل_ بين تلك الجوانب من دعوتهم في عدد من الآيات القرآنية لبيان أن الداعية عليه الاهتمام بأولويات الدعوة،والتدرج بالأهم ثم الأهم حتى يصبح منهجا يجذب العقول وتستنتج أن هؤلاء الدعاة مهتمون بقضايا كلية،تهم المجتمع و هم حريصون على المصلحة العامة،بعيدون كل البعد عن الجزئيات التي إن سيطرت على القضايا الكلية وأخذت من الوقت ما يزيد على حقها،تصبح نقمة على الداعية ووسيلة للتنفير من الدعوة والدعاة.

المطلب الثاني: في الشخص المدعو

لا شك أن منهج التدرج في دعوة الأشخاص هو منهج نبوي ثابت في القرآن الكريم،وكما يقول الشيخ محمد الغزالي (نحن المسلمين الآن نتعامل مع مجتمعات ليست إسلامية،ليس مجتمعنا اليوم هو المجتمع الأول حيث استقر الحكم النهائي الذي نزل به القرآن،القرآن كتاب جاء ليخاطب البشرية كلها)([1]) ففي عدد من الآيات التي يأمر الله _عز وجل_ فيها نبيه محمدا _عليه الصلاة والسلام_ بدعوة أهله وعشيرته، يقول الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ([2]) ويقول تعالى مخاطبا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام(وأنذر عشيرتك الأقربين)([3]) فهو كما يقول محمد الشنقيطي(لا ينافي الأمر بالإنذار العام، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية)([4]) وإنما جاء ذلك مراعاة للتدرج بالشخص المدعو، يقول الإمام الرازي(ثم أمره بدعوة الأقرب فالأقرب وذلك لأنه إذا تشدد على نفسه أولا ثم بالأقرب فالأقرب ثانيا،لم يكن لأحد فيه طعن ألبتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع)([5])فالتدرج في دعوة الأشخاص الأقرب فالأقرب،منهج عقلي تعرض له القرآن الكريم وانتهجه الأنبياء في

([1]) محمد الغزالي،**كيف نتعامل مع القرآن**،مرجع سابق،ص١٣١

([2]) سورة التحريم الآية(٦)

([3]) سورة الشعراء الآية(٢١٤)

([4])محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان الطبعة : ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ مـ ج٦ ص١٠٠

([5]) الرازي،**مفاتيح الغيب**،مرجع سابق،ج٢٤ ص١٤٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دعوته لأقوامهم،فنلاحظ أن كل الأنبياء بدءوا في دعوة أقوامهم بصيغة(يا قوم)([1])ففي قوله تعالى على لسان موسى _عليه السلام_: (وَإِذ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْم اذكرُوا نِعْمَة اللهِ عَلَيْكمْ إِذ جَعَلَ فِيكمْ أنبيَاء وَجَعَلكم مُّلوكاً وَآتاكم مَّا لَمْ يُؤْتِ أحَداً مِّن العَالمِينَ)([2])وفي قوله تعالى على لسان نوح _عليه السلام_ : (لقَدْ أرْسَلنَا نُوحاً إِلى قوْمِهِ فقَالَ يَا قوْم اعْبُدُوا اللهَ مَا لكم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أخَافُ عَلَيْكمْ عَذابَ يَوْم عَظِيم)([3]) وفي قوله تعالى على لسان هود _عليه السلام_ : (وَإِلى عَادٍ أخَاهُمْ هُوداً قالَ يَا قوْم اعْبُدُوا اللهَ مَا لكم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أفَلا تتَّقُونَ)([4]) وفي قوله تعالى على لسان صالح _عليه السلام_ : (وَإِلى ثَمُودَ أخَاهُمْ صَالِحاً قالَ يَا قوْم اعْبُدُوا اللهَ مَا لكم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قدْ جَاءتكم بَيِّنَة مِّن رَّبِّكمْ هَـذِهِ نَاقة اللهِ لكمْ آيَة فَذرُوهَا تأكلْ فِي أرْض اللهِ وَلا تمَسُّوهَا بسُوَءٍ فيَأخُذكمْ عَذابٌ أليمٌ)([5])وفي قوله تعالى على لسان شعيب _عليه السلام_: (وَإِلَى مَدْيَنَ أخَاهُمْ شُعَيْباً قالَ يَا قوْم اعْبُدُوا اللهَ مَا لكم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قدْ جَاءتكم بَيِّنَة مِّن رَّبِّكمْ فَأوْفوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ وَلا تبْخسُوا النَّاسَ أشْيَاءهُمْ وَلا تفْسِدُوا فِي الأرْض بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذلِكمْ خَيْرٌ لَّكمْ إن كنتم مُّؤْمِنِينَ)([6])وفي قوله تعالى على لسان هارون _عليه السلام_: (وَلقَدْ قالَ لهُمْ هَارُونُ مِن قبْلُ يَا قوْم إِنَّمَا فتِنتم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكمُ الرَّحْمَنُ فاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أمْرِي)([7])٠ فهذا المنهج يحث الشخص المدعوعلى التدبر والتأمل،لأن الداعية بدأ بالأقربين، فيدل هذا التصرف على أن هذه الدعوة مهمة لدرجة أن الداعية بدأ بالأقربين،وهم خاصته فيبعد عنه الشبهات وسوء الظن لأن العقل يقول أن الذي يدعوا لفكرة ولم يبدأ بدعوة أهله وأقربائه يقال أن هذه الدعوة لو كان فيها خيرا لبدأ بخاصته.

([1]) ذكرت في القرآن الكريم في ٤٩ موقع

([2]) سورة المائدة،الآية(٢٠)

([3]) الأعراف،الآية (٥٩)

([4]) الأعراف،الآية (٦٥)

([5]) الأعراف (٧٣)

([6]) الأعراف (٨٥)

([7]) طه (٩٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن التدرج أسلوب عقلي منطقي للوصول إلى المدعوين،فلا يعقل من الداعية أن يبدأ بدعوة الأبعد ثم يأتي للأقرب،فهذا إبراهيم _عليه السلام_ قبل أن يدعو قومه بدأ بأبيه،ثم توجه بعد ذلك إلى قومه .

وهذا النبي _عليه الصلاة والسلام_ كما قال الرازي: (كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم)([1]) وبعد دعوة الأهل والقوم ينطلق في الدعوة إلى الأبعد فالأبعد وهكذا حتى يكون التسلسل بشكل يقبله العقل وترتاح له النفوس .

إن التدرج في دعوة الأشخاص بالأقرب فالأقرب أدعى للطاعة والقبول بالحق،وينشئ في نفس الأشخاص الأبعد عن الداعية حب الفضول للسماع إلى دعوته عندما يجدون هذا الاهتمام بالأهل والأقارب والعشيرة،فخروج الداعية إلى دعوة الأبعد بعد دعوة الأقرب يكون له قاعدة من الأتباع يرتكز إليها في الدعوة، وتكون له نصرة وسندا يتقوى بهم على طاعة الله والدعوة له.

لا شك أن منهج التدرج في الدعوة للأشخاص في سير الأنبياء والقرآن الكريم راعى الشعور الفطري والبعد النفسي لدى الإنسان الداعية،وهو حب الأهل والأقربين فكان منهجهم البدء بالأهل والأقربين بالدعوة،ومن ثم الانتقال إلى من هم أبعد حتى لا يتنافى ذلك مع ما ألفته النفوس واعتادت عليه العقول.

المطلب الثالث: في الأسلوب

إن التدرج في أسلوب الدعوة له الأثر الكبير على المدعو،لا سيما وأن هذا المنهج فيه نوع من جذب العقول وتكون القناعات،فيبدأ الإنسان بالأسلوب الأسهل على النفس ثم ينتقل من مستوى إلى مستوى أعلى حسب ما يتطلب له الحال .

فهذا إبراهيم _عليه السلام_ كان في بداية دعوته مع أبيه يستخدم أسلوب اللين والمداراة،التي يعرفها ابن حجر بقوله:(الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في الذهي عن فعله،

([1]) المصدر السابق، ج٢١ ص١٩٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك.)([1]) وفعل كل ما في وسعه ليوصله إلى بر الأمان،وذلك بتوحيد الله _عز وجل_ ونبذ ما يعبدون من دون الله،فكان الخطاب بصيغة اللين والتودد وإظهار الحب والشفقة عليه وبقول (يا أبت) كما أسلفت في سورة مريم،ولذلك يعتبر الترفق كما قال الدكتور محمد أحمد عبد القادر في كتابه ملامح الفكر الإسلامي(الترفق بصفة عامة أحد أهم الأسس التي يقوم عليها مفهوم الاعتدال،حيث إن طبيعة الترفق تغني الاعتدال مع النفس والاعتدال مع الغير)([2]).

وبعد هذا اللين والتودد الذي استخدمه إبراهيم _عليه السلام_ مع أبيه،وجد أن هذا الأسلوب لم يأت بنتيجة،انتقل _عليه الصلاة والسلام_ إلى أسلوب فيه نوع من الشدة،كما في قوله تعالى: (وَإِذ قالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)([3]) فقوله لأبيه إني أراك وقومك في ضلال مبين فيه نوع من الشدة في الأسلوب والتقريع الذي يزلزل العقول،لعل هذه الشدة في الأسلوب توقظ عقولهم من السبات العميق والغفلة عن دين الحق والتوحيد .

ويتضح لنا أيضا في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)اذ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧)فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا

([1]) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار الفكر ج١٠ ص٥٢٩

[2])د.محمد أحمد عبد القادر، **ملامح الفكر الإسلامي**،الناشر:دار المعرفة،ص٢٧

([3]) سورة الأنعام (٧٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هَؤُلاء يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧))([1].

ويقول ابن عاشور معلقاً على هذه الآيات :(والظاهر أن المحكي في هذه الآية موقف من مواقف إبراهيم مع أبيه، و هو موقف غلظة، فيتعين أنه كان عندما أظهر أبوه تصلبا في الشرك.وهو ما كان بعد أن قال له أبوه: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ} [مريم: ٤٦]و هو غير الموقف الذي خاطبه فيه بقوله: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ} الآيات في سورة مريم[٤٢].)([2].

هكذا المؤمن في دعوته يظهر العنف أحياناً في أسلوبه،ولكن كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي(كراهية المؤمن لهم ممزوجة بالألم من أجلهم،والاستقامة عليهم،ويتمنى الخير لهم،والدعاء لهم بالتوفيق والهداية)([3].

ونأتي إلى أسلوب آخر من أساليب التدرج العقلي في الدعوة،ألا و هو أسلوب التصريح والتعريض في الدعوة إلى الله _عز وجل_.

فالتصريح لغة:(نقول صرح ما في نفسه :أظهره)([4]) فالداعية إلى الله _عز و جل_ يبدأ بالتصريح بالدعوة إلى الله،لقوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين)([5]) و قول جميع الأنبياء (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)([6]) فكان القول الصريح كما يقول أحمد الرافعي الفيومي(لا يفتقر إلى اضمار أو تأويل)([7]) منهج لا غنى عنه في بداية الدعوة،فكيف يمكن

([1]) سورة الأنبياء(٥١-٦٧)

([2]) ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،مرجع سابق،ج٦ ص١٧١

([3])د.يوسف القرضاوي،**الإيمان والحياة**،الناشر:مكتبة وهبة-القاهرة،الطبعة التاسعة،ص١٨٢

([4]) ابن فارس،مقاييس اللغة،مرجع سابق ،ج٣ ص٣٤٧،وانظر محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥ – ١٩٩٥ تحقيق : محمود خاطر عدد الأجزاء : ١ ص٣٧٥وانظر إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار،المعجم الوسيط ،دار النشر : دار الدعوة ،تحقيق: مجمع اللغة العربية ،عدد الأجزاء: ٢ ج١ ص٥١١

([5]) سورة الحجر الآية(٩٤)

([6]) سورة الأعراف الآيات(٥٩,٦٥,٧٣,٨٥) سورة هود الآيات(٥٠,٦١,٨٤)وسورة المؤمنون(٢٣,٣٢)

([7])أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الرافعي، **المصباح المنير في غريب الشرح**،الناشر : المكتبة العلمية – بيروت عدد الأجزاء : ٢ ج١ ص٣٣٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لشخص أن يبدأ بكلامه بشيء مبهم ،دون أن يصرح للآخرين ما يجول بخاطرة ،لتصبح دعوته تفتقر لشيء من التوضيح والبيان.

ثم إذا رأى النبي أن أسلوب التصريح لم يجد نفعاً مع المخاطب، ينتقل في المنهج العقلي تدريجيا من أسلوب التصريح الى أسلوب التعريض .

والتعريض كما ذكر الجرجاني في التعريفات (والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح)([1])، ويقول صاحب البرهان في علوم القرآن (وأما التعريض فقيل إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم وسمي تعريضا،لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي من جانبه ويسمى التلويح لان المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده كقوله تعالى"بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون"غرضه بقوله "اسالوهم"على سبيل الاستهزاء وإقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به من عجز كبير الاصنام عن الفعل،مستدلا على ذلك بعدم إجابتهم إذا سئلوا ولم يرد بقوله "بل فعله كبيرهم هذا"نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم فدلالة هذا الكلام عجز كبير الأصنام عن الفعل بطريق الحقيقة)([2]).

فكان التعريض أسلوبا ثانيا من أساليب التدرج في الدعوة بعد التصريح،وقد يكون أحيانا أبلغ في إيصال الفكرة للمدعو،لما في التعريض من حث للعقول على التفكير،والجمع بين المقدمات والنتائج كما في قصة إبراهيم عليه السلام من تكسير الأصنام.

المبحث الخامس: منهج القدوة الحسنة

تمهيد

لا شك أن الإحسان في القول والعمل عند الداعي إلى الإسلام هي عاملٌ ذو أثرٍ إيجابيٍّ في نقل الدعوة وفي قبولها مِن الآخرين،يقول الشيخ محمد الغزالي في كتاب خلق المسلم:(ولن

([1]) علي بن محمد بن علي الجرجاني،التعريفات ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥،تحقيق : إبراهيم الأبياري،عدد الأجزاء : ١ ص٨٥

([2])محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم عدد الأجزاء : ٤ ج٢ ص٣١٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة،فالرجل السوء لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا،وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه،فيروعها أدبه،ويسبيها نبله،وتقتبس-بالإعجاب المحض-من خلاله،وتمشي بالمحبة الخالصة في آثاره.)([1]).

وعندما أثنَى القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يُثن عليه بالعلم والمعرفة، وإنما أثنى عليه "بالخُلق العظيم"، فيقول له: (وإنَّكَ لعَلى خُلقٍ عَظيم)([2])، فالخُلق هو عادات تتمثل في السلوك والمواقف والتصرفات،وذلك ما يُعبَّر عنه بالقدوة الحسنة، إنْ كان هذا السلوك، والمواقف، والتصرفات لها طابَعُ الحُسن.

ولأن القدوة الحسنة ذات تأثيرٍ قويٍّ في نشْر الدعوة،ولها الأثر الكبير على العقل في التفكر والتدبر،حيث أن الإنسان يرى من الشخص القدوة مّثلاً عليا تتوق نفسه لها،ويرى ما فيها من درجات الكمال الفطري،ولذلك يُوصي الله المؤمنين: الاقتداء برسول الله - عليه الصلاة والسلام - في تطبيقه لمبادئ الوحْي في حياته وحياة أمَّتِه فيقول لهم:(لقدْ كانَ لكمْ في رَسولِ اللهِ أسْوَةٌ حَسَنةٌ لمَن كانَ يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذكرَ اللهَ كثِيرًا)([3]). وبذلك قامت الدعوة الإسلامية على عهد الرسول - صلوات الله عليه - على الوحْي.. وعلى حُسن التطبيق لمبادئه،كما ذكر الشيخ الغزالي(إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان،وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة والقلوب)([4]).

المطلب الأول:في تطابق الأفعال مع الأقوال

إن من أهم وسائل السباق إلى العقول، القدوة الحسنة في الأفعال قبل الأقوال،فالأفعال هي التي يراها الناس ويلمسونها في صاحب الحق،فهي الدعوة الصامتة التي ليست بحاجة إلى إفصاح أو تعبير،فهم يرون صاحب المبدأ يطبق مبدأه في واقع حياته وتصرفاته،فإذا كان المقام

([1]) محمد الغزالي،**خلق المسلم**،الناشر:دار القلم-دمشق،الطبعة الخامسة عشرة،١٤٢١ه-٢٠٠٠م ص١٦

([2]) سورة القلم ،الآية(٤)

([3]) الأحزاب الآية(٢١)

([4])محمد الغزالي،**مع الله دراسات في الدعوة والدعاة**،مرجع سابق،ص٢٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحتاج منه إلى الكرم أقدم إلى البذل والعطاء،وإذا كان المقام يحتاج منه إلى خلق الشجاعة رآه الناس مقداما،وإن اختبروه في صفة الصدق لم يجربوا عليه كذبا،وإن التمسوا عدالته لم يجدوا منه ظلما،وإن أرادوا معرفة تقواه ألفوه يدع ما لا بأس به خشية من الوقوع فيما به بأس،لشدة تحرجه من الوقوع في المحرمات،فضلا عن إتيانه الأوامر الواجبة.

فهو يتحرك في نشاطه كله بالقرآن والسنة، فإذا رآه الناس مواظبا على ذلك مالوا إلى الاقتداء به ولو لم يتكلم؛لأن الحق بذاته يدعو عقول الناس إلى ذاته،فكيف إذا رأوه مطبقا في حياة أهله ورأوا ثمار تطبيقه في الحياة؟ وكمنهج دعوي يحث العقول على التفكير،يبدأ المعاند المناوئ للحق يفكر في سيرة صاحب الحق ويتدبر، ويقارن بين الحق الذي يراه مطبقا في حياة صاحبه،وبين الباطل الذي يزاوله هو،ويترتب على ذلك أحد أمرين:

الأمر الأول: اتباع الحق والعمل به، ونبذ الباطل،الأمر الثاني: الإصرار على الباطل،مع تيقنه أنه باطل،وترك الحق مع تيقنه أنه حق،وفائدة ذلك انكسار نفس صاحب الباطل أمام صوت الحق، وإقامة الحجة العملية عليه.

أما إذا كان الداعي إلى الحق لم يلتزم هو نفسه به ولم يطبقه في حياته،فإن الناس ينصرفون عنه ولا يشغلون عقولهم بالتفكير فيما يدعو إليه،لمعرفة كونه حقا فيُتَّبَع أو باطلا فيُجتَنب،وهذه هي القدوة السيئة التي تُنفِّر من المبدأ وإن كان حقا،كما هي عادة غالب الناس إلا من رحم ربي،وقد يوجد من يفكر في المبدأ الذي لا يكون الداعي إليه قدوة حسنة في تطبيقه، فيعلم أنه حق ويتبعه،ولكن قليل ما هم،وذلك ليس من وسائل السباق الناجحة إلى العقول.

ولنا في ذلك سيدنا شعيب _عليه السلام_ في قوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكلتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)([1]) يقول الإمام الطبري في تفسيره:(وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعلُ خلافه، بل لا أفعل إلا ما آمركم به، ولا أنتهي إلا

([1]) سورة هود، الآية(٨٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عما أنهاكم عنه)([1]) فلا يصح عقلا أن تدعو إلى فكرة وأنت تفعل خلافها،فهذا أدعى أن يرفضها العقل ولا يؤمن بها .

لهذا كان للقدوة في الأفعال والأقوال والتطابق بينهما منزلتهما في الإسلام، وكان رسل الله وأنبياؤه والداعون إلى هداه كلهم قدوة حسنة،وقد أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بمن سبقه من إخوانه المرسلين، فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)([2]). ،يقول الإمام الطبري :(فبهداهم: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم "اقتده"، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى.)([3]) وأرشد أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الاقتداء بنبيه إبراهيم -عليه السلام- ومن معه،قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ)([4]) وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ)([5])وحث الله تبارك وتعالى هذه الأمة حثا مؤكدا على الاقتداء برسوله -صلى الله عليه وسلم- الذي جمع كل قدوة حسنة سبقه لها الأنبياء وزاده الله من فضله، فقال تعالى:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)([6]).

إن في الأفعال الحميدة والأقوال الطيبة للداعية ما يجعله أسوة حسنة لغيره؛فيقبلون عليه،لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده،فالقدوة الحسنة في الأفعال والأقوال التي يحققها الداعي هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام،يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل على أن الإسلام حق من عند الله .

([1]) الطبري،**جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ،مرجع سابق،ج١٥ص٤٥٣

([2]) سورة الأنعام الآية(٩٠)

([3]) المصدر السابق(الطبري)،ج١١ ص٥١٩

([4]) سورة الممتحنة، الآية (٤)

([5]) سورة الممتحنة، الآية (٦)

([6]) سورة الأحزاب ،الآية(٢١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترتكز أهمية القدوة في الأفعال والأقوال إلى أسباب كثيرة،منها أن القدوة الحسنة في الأقوال والأفعال تثير في العقل البشري قدرًا كبيرًا من الاستحسان،فتتهيأ دوافعه الداخلية ، ويحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به،وكذلك فهي تعطي الآخرين قناعة عقلية بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة عقلا،وكذلك إن مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت،ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي،فإن ذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد الداعية للمدعو،فهي الدعوة الصامتة التي ليست بحاجة إلى مترجم أو مفسر،وكذلك إن الأشخاص المدعوين ينظرون إلى أفعال الداعية وأقواله نظرة دقيقة دون أن يعلم،فعليه أن يتوخى المنهج الإسلامي في كل جوانب حياته.

إن القدوة الحسنة لها أثرها في النفوس،فإن وافق الفعل القول كان ذلك أبلغ في الفهم والمعرفة وفي القبول والإقبال على هذه النصيحة،ولقد ورد الذم كثيرا وعظيما لمن يخالف قوله فعله،ولمن لا يلحق القول بالفعل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)([1]) وفي سياق ما ذكر من صفات مذمومة كان عليها بعض أهل الكتاب قول الحق جل وعلا: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)([2]) فقد وصف الله عز وجل أن الذي لا تطابق أقواله أفعاله أنه من غير العقلاء.

إن القدوة في الأقوال والأفعال هي التي تجعل لكلام الله وقعا في القلوب والعقول، ولأوامر الدين احتراما في النفوس،ولعظات الدعاة تأثيرا في المجتمع،وهي التي تجعلنا أمّة جدّ وعمل،فإنّ وقوف الداعية عند حدّ القول دون التطبيق يدعو المستمع على الوقوف عند حدّ السماع،وقرنه القول بالعمل يبعث السامع على قرن السماع بالتطبيق والإتباع.

في هذا العصر الذي طغت فيه الماديات،وازدادت العلاقات الاجتماعية تشتتا وفرقة،تزداد الحاجة كما يقول الدكتور محمد مذير حجاب إلى (علماء دعاة تتمثل في نفوسهم وأعمالهم الوراثة النبوية بكل ما فيها من خصائص وأخلاق وتوجيه،نحن بحاجة إلى علماء عاملين،أما الداعية العالم فقط فلن يتجاوز معسول الكلام ولن ينفذ إلى قلوب مستمعيه أو

([1]) سورة الصف، الآيات(٢-٣)

([2]) سورة البقرة، الآية(٤٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشاهديه،ولن يزيد تأثير عملهم عن مجرد إضافة حصيلة معلومات دون القدرة على تغيير السلوك والاتجاهات)([1]).

المطلب الثاني: في الأخلاق الحسنة

إن الأخلاق الطيبة للداعي في صفاته العالية ما يجعله أسوة حسنة لغيره، فيكون بها أنموذجًا يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها،فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله تعالى.

ولي في ذلك من سيرة المصطفى _عليه الصلاة والسلام_ عن أنس _رضي الله عنه - ، قال : (كانَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَحْسَنَ النَّاس خُلقاً)([2]) .

وعنه ، قالَ :(مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلا حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ، وَلا شَمَمْتُ رَائِحَةً قطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ، وَلَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَشْرَ سنين ، فما قَالَ لي قطُّ : أفٍّ، وَلا قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَه ؟ وَلا لشَيءٍ لَمْ أفعله : ألا فَعَلْتَ كذا ؟)([3]).

وعن عائشة رضي الله عنها : أنها قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم - : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : (لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب،فرفعت رأسي،وإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل - عليه السلام - ، فناداني ، فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي إليك

([1]) د.محمد منير حجاب،**تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع العاصر**،مرجع سابق،ص١٨٦

[2])متفق عليه.

[3])متفق عليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتأمرني بأمرك ، فما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا))([1])

لذلك فإن الناظر إلى طبيعة الأخلاق يجد أنهاكما يقول أصحاب كتاب في العقيدة الإسلامية والأخلاق(ليست مجرد أفكار نظرية يتعلمها الإنسان أو المسلم،ثم لا يترتب عليها عمل،كبعض العلوم الأخرى،ولكن الأخلاق نظر وعمل،بمعنى أننا نتعلمها آراء ومبادئ ومناهج ثم تخرج إلى التطبيق العملي)([2]).

وإذا أمعنا النظر في سير الأنبياء في بداية دعوتهم،أنهم كانوا يدعون الناس إلى شيء عظيم وهو توحيد الله _عز وجل_ وترك عبادة الأوثان التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم،و هذه الدعوة لا شك أنها صدرت من أنبياء الله _عز وجل_،والذين كانوا في بداية أمر الدعوة يبلغون الناس بأول أمور الدعوة ألا وهو التوحيد،فلم يملكوا في بداية الأمر إلا رصيداً كبيراً من حسن السيرة والسلوك والأخلاق العظيمة،التي تنبه العقلاء من الناس أن هذا الإنسان لم يجرب عليه الكذب والخيانة،فالأنبياء كلهم إنما اصطفاهم الله عز وجل لتوافر واجتماع أعلى صفات الكمال البشري فيهم ،فكانوا يدعون الناس بما لديهم من أخلاق أدى لأن يسلم الكثير منهم لمجرد أن هؤلاء وهم الأنبياء قاموا بإبلاغهم عن دين التوحيد.

إن الأخلاق كما يقول سيد قطب:(نظام متكامل لحياة شاملة،نظام يوجّه ويضبط كل النشاط الإنساني في شتي جوانب الحياة،فالصدق خلق،ومثله الجهاد في سبيل الله لتحرير البشر من العبودية لسواه،والأمانة خلق،ومثلها عمارة الأرض وتنمية الحياة وترقيتها في حدود ما شرع الله،ابتغاء رضوان الله،والعفة خلق،ومثلها تطهير عقول الناس من الوهم والخرافة والضلال)([3]) وذلك لا يكون إلا بأخلاق تتجسد في كلام الداعية وتصرفاته.

---

[1])متفق عليه

[2] د.مصطفى السيد علوش، د.أحمد عبده حمودة الجعل،د.محمد عبدالتواب السيد يوسف، د.محمد عمر محمد حسن، **في العقيدة الإسلامية والأخلاق**، الطبعة الأولى،ص٢٧٠

[3] سيد قطب،**مقومات التصور الإسلامي**، الناشر:دار الشروق - القاهرة،الطبعة الأولى،ص٢٨٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتجلى لنا موقف القدوة في الأخلاق في قصة يوسف _عليه السلام_ عندما دخل السجن في قوله تعالى: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)([1]) يقول الإمام الطبري كما ذكرنا سابقاً في تفسير إحسان يوسف _عليه السلام_ كما ذكرنا سابقاً:(هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزي حزينهم ، وإذا احتاج منهم إنسان جَمَع له، وإذا ضاق أوْسَع له)([2]) من هذه الأخلاق الفاضلة ليوسف _عليه السلام_ كانت له بالشاهد العيان على صدقه فيما يدعو،فقام بدعوة من في السجن بما يملك من الرصيد الأخلاقي في تعامله معهم،فكان حسن الخلق منه دافعا قويا لأن يتقرب له من في السجن،ويسألونه عن أشياء خاصة لهم،وهذا دليل على حبهم له وثقتهم به.

ومن الملاحظ في دعوة يوسف _عليه السلام_ لأهل السجن كما هو مبين في القرآن الكريم،لم يذكر القرآن الكريم موقف عناد وجدل من الفتية في السجن،وإن دل على شيء فإنما يدل على كرم يوسف وأخلاقه العظيمة التي أدت إلى جذب عقول وقلوب الفتية.

إن لغة الأخلاق لا تحتاج إلى ترجمة،فيكفى أن يتخلق الداعية بالأخلاق الكريمة ويصبح قدوة حسنة ليتحقق التأثير بصورة أقوى من أى عبارة بليغة،أو خطبة رصينة ،يقول الإمام ابو حامد الغزالي(لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر)([3]).

فالرقعة الأرضية التي يسكنها المسلمون تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود الصين شرقا،ومن المحيط الهندي إلى حدود روسيا شمالا،لا يوجد بلد غير إسلامي إلا وقد وجد فيه مسلمون قلوا أم كثروا.

وهذا الامتداد المكاني يوفر لهم فرصة عظيمة للوصول إلى عقول الناس الذين يعيشون فيه،كل منهم في موقعه بدون اضطرار إلى الانتقال من مكان إلى مكان آخر بعيد،فكل صاحب

([1]) سورة يوسف الآية(٣٦)

([2]) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق،ج١٦ ص٦٨(بتصرف)

([3])محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ،**احياء علوم الدين**، مرجع سابق، ج١ ص٥٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باطل يعيش بين غالبية من أهل الحق سيكون المسلمون أكثر سبقا إلى عقله بالأخلاق الحسنة - لو وجدت فيهم - ،ثم بالدعوة والبلاغ المبين،وكل صاحب حق وجد من المسلمين بين غالبية من أهل الباطل، سيؤثر فيهم ويسبق إلى عقولهم بمقدار الأخلاق الحسنة التي يحملها وبمقدار قيامه بالدعوة إلى الله بالوسائل الشرعية المتاحة المناسبة لكل بلد،فالأخلاق الحسنة هي أعظم وسيلة للدعوة إلى الله،والتي لا تحتاج إلى تعلم وخبرات،وكما قال الشيخ محمد الغزالي (فصلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان،وخُلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب مع الله)([1]).

ولا أقول إن الناس كلهم يجب أن يكونوا على مستوى واجد من العلم،لكن الذي يفوته العلم لا يفوته حسن الخلق والصبر والحكمة واللين وإرجاع المشكل إلى العلماء،كما أنه لا يفوته العدل والصدق والوفاء والأمانة،وكل هذا من خلق المسلم،ودافع إلى الدخول في الإسلام مع التوجيه بقدر الإمكان،لذلك إن الخلق الحسن موضوع واسع جداً يشمل: الحلم،والأناة،والجود والكرم،والعفو والصفح،والرفق واللين،والصبر،والعزيمة،والثبات،والعدل والإنصاف، والصدق، والبرّ،والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفة، والتواضع، والزهد، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص...وهذه كلها تحبب صاحب الدعوة إلى الناس،وتقربهم منه، بخلاف الغلظة والعنف والخشونة في التعامل فإنها تنفرهم منه،وتبغض الإسلام إلى قلوبهم، فيكون هذا الداعية الفظ الغليظ فتنة لهم لا رحمة،وكما يقول الشيخ عدنان عرعور(فلا توجد صفة شخصية للإنسان أفضل من حسن الخلق،ولا صفة تحبب الناس به أعظم من طيب العشرة،فقد طبع الناس على حب حسن الخلق،ولو كان من كافر،وعلى كراهية سوء الخلق، وعلى النفور من صاحبه،كائناً من كان، إن حسن الخلق وطيب المعشر،لا يظهر في خطبة جمعة،أو إلقاء محاضرة،أو تأليف كتاب،إنما هو ممارسة عملية،وخلق فعلي،يظهر في تصرفات الفرد ومواقفه،فهو سماحة في المعاملة،وعفو عن الإساءة،وبشاشة في الوجه،وطيب في الكلام،ورقة في العبارات،ورحمة بالضعفاء،وإجلال للوجهاء،واحترام للعلماء،وهو كذلك، كف الأذى،ولين الجانب،وحسن الظن،والتماسُ العذر،وتتبعُ الحسنات،وتواضع مع الإخوان، وترفعٌ عن الانتقام)([2]).

([1]) محمد الغزالي،**مع الله دراسات في الدعوة والدعاة**، الناشر : دار نهضة مصر، الطبعة : الأولى ص٢٣٥

([2])عدنان بن محمد آل عرعور، **منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، الطبعة الأولى،ص (٣٩_٤٠)بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول صاحب روضة العقلاء نقلاً عن الفضيل بن عياض(سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا خالطت فخالط حسن الخلق،فإنه لا يدعو إلا إلى خير،وصاحبه منه في راحة،ولا تخالط سيء الخلق،فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء،ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيء الخلق،إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه)([1]).

لا شك أن القدوة الحسنة تتمثل في أمور الدنيا والدين؛فلن يتقبل الناس الدعوة من شخص فاشل في حياته العملية أو العلمية،فالقدوة الحسنة أمور مترابطة تجعل الفرد الداعية كالبوصلة في توجيه الناس للخير.

([1]) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٧ – ١٩٧٧ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد عدد الأجزاء : ١ ص٦٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني: خصائص المنهج الدعوي العقلي للأنبياء في القرآن الكريم

تمهيد:

لا شك أن في المنهج الدعوي العقلي للأنبياء من الميزات والخصائص ما يستحق منا الدراسة والتمحيص،هذا المنهج الذي تجسد في خيرة خلق الله وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم،والذي جمع بين الأسلوب والمضمون ليكون نبراسا يقتدى به إلى يوم الدين.

إن منهج دعوة الأنبياء في كتاب الله قد أحاط بمتطلبات الإنسان في هذه الحياة، واحتوى على الحلول لكل مشكلة من مشكلات البشر في الحياة البسيطة والمعقدة،وتعاملت معها بكل ما يستطيعون فعله،ليجد الإنسان في أي موقع من الأرض وبأي زمن من الأزمنة الحل لكل ما يعترضه،والبرهان القاطع على أن هذا المنهج في الدعوة إلى الله حق،ويدعو إلى معرفة الله معرفة حقيقية،حتى تؤَدى له العبادة الخالصة على وجهها الذي يرضيه سبحانه.

إن من أسباب تقبل العقل للدعوة،التعرف على ما تنطوي عليه خصائص منهج الأنبياء العقلي في الدعوة إلى الله،من شمولية بعيدة عن النظرة الجزئية،وواقعية بعيدة عن الخيال،وتوازن بعيد عن الانحراف، ويسر بعيد عن التشدد والتزمت،وعلاجه لمعضلات المجتمعات المتباينة .

وبذلك قمت بتقسيم الفصل الثاني الى أربعة مباحث اشتملت على خصائص المنهج الدعوي العقلي للأنبياء في القرآن الكريم على النحو الآتي:

المبحث الأول:الشمولية

المبحث الثاني:الواقعية

المبحث الثالث:التوازن

المبحث الرابع:اليسر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: الشمولية

تمهيد:

إن سمة الشمولية من الخصائص التي امتازت بها دعوة الأنبياء_ صلوات الله وسلامه عليهم_ ،والتي شملت كل من الفرد والمجتمع،وذلك بتهيئة الدعوة لاستيعاب كل ما يلزمهم من أساليب الإقناع،ودعوة تستغرق في مفرداتها كل حياتهم،حتى لقاء الله _عز وجل_ وهو راض عنهم،وكما يقول الدكتور محمد يسري(والشمول في الدعوة إلى الله مستمد من شمولية تشريعات الإسلام لأنظمة الحياة الإنسانية جميعا)([1]).

إن منهجية الدعوة في الإسلام هي منهجية شمولية،وكما يقول الدكتور عبد الحميد:(ان منهجية الفكر الاسلامي هي منهجية شمولية تحث وتوجه نشاط الإنسان المسلم في وجوه إصلاح الحياة كافة،وتنظيم أدائها ورعايتها،وتطوير طاقاتها وإمكاناتها على ما تقتضيه غاية الحياة ووجود الإنسان والكائنات)([2])٠

ومن أهم خصائص منهج الأنبياء العقلي في الدعوة الى الله الشمول على كافة الوسائل العقلية التي يتوصل بها الى الإنسان المدعو،وكما يقول الدكتور محمد يسري(ومن الشمول في الدعوة الشمول في الوسائل،فلا تقتصر الوسائل على دعوة جماعية عامة،ولا تنحصر في دعوة فردية خاصة،ولا تختصر في مؤسسات خيرية،أوهيئات اجتماعية وإغاثية،بل كل وسيلة تحقق الأهداف ولا تعارض الشرع،فهي مطلوبة)([3])

المطلب الأول: الشمولية في حياة الفرد

إن منهج الأنبياء العقلي شمل كل ما يلزم الفرد،_سواء أكان غنياً أم فقيراً، جاهلاً أم متعلماً،كبيرا أم صغيراً_ من أساليب ووسائل في دعوته إلى الله،فلم تترك وسيلة ناجحة في إقناع الناس في العودة إلى الله والإيمان به إلا وكان لهم منها نصيب،فالفرد يعتبر اللبنة الأولى

([1])د.محمد يسري،**معالم في أصول الدعوة**، ص٧٥

([2])د.عبد الحميد أحمد أبو سلميان،**أزمة العقل المسلم**، مرجع سابق،ص١٥٤

([3])د.محمد يسري،**معالم في أصول الدعوة**، ص٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في نسيج الأمة،والتي لا يمكن لها الازدهار والنهوض إلا باستقطاب كل أفراد الأمة بكل بالوسائل المتاحة لذلك.

إن ملاحظة الفرد أن هذه الدعوة تتميز بشموليتها لكل نواحي العقل البشري من أسلوب لدعوة العقل،ومنهجية علمية ومنطقية في التعامل معه،ليجد في نفسه القابلية على التفكير في الاتجاه الصحيح،وتبعد عنه سبل الشك في دعوة الأنبياء _صلوات الله وسلامه عليهم_،لذلك لو ركز الدعاة على جانب من أساليب الدعوة في مخاطبة العقل وأهملوا المناحي الأخرى،لكان النفور منها وعدم الانصياع لما يدعون له.

إن ميزة الشمولية في حياة الفرد تبرز في سيرة المصطفى_عليه الصلاة والسلام_عندما اشتملت دعوته كل الأفراد من غني وفقير،من صغير وكبير،من ذكر وأنثى،من عرب ومن عجم،من قوي ومن ضعيف،من حاكم ومحكوم،ومن رئيس ومرئوس،فقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام ملوك فارس والروم،وكذلك شملت دعوته ضعاف الناس وأقلهم شأناً، شملت دعوته صناديد قريش وكبرائها،وكذلك شملت العبيد والخدم كما في قصة اسلام سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه وأرضاه.

هذا بالنسبة إلى الأسلوب،أما بالنسبة الى ما يحتويه مضمون الدعوة،فكل الشرائع السماوية من لدن آدم _عليه السلام_ حتى محمد عليه الصلاة والسلام جاءت شرائعهم شاملة لكل نواحي الحياة في ذلك الزمان الذي بعث فيه ذلك النبي،فلا يوجد شريعة ناقصة عالجت جانباً من جوانب الحياة وأهملت جوانب أخرى،إذ لا يعقل وجود دعوة قصرت في معالجة جانب من الجوانب،وحاشى لله أن يبعث نبياً من أنبيائه بشريعة ناقصة غير شاملة لكل متطلبات الفرد في جميع مجالات حياته،فكل شريعة جاءت واضحة المعالم في العقيدة، فالتوحيد كان أساس كل الشرائع السماوية،أضف إلى ذلك العبادات والأخلاق،فكل الشرائع شملت كل ما تتطلبه الفطرة، ويؤيده العقل.

يقول الدكتور عزمي طه عن شمول الثقافة الإسلامية والتي ترتبط بشكل مباشر بمنهج الدعوة الإسلامية إلى الله _عز وجل_:(فالثقافة الإسلامية لا تبين للإنسان طرائق التعامل مع بعض جوانب الوجود دون بعضها الآخر،كأن تهتم بالوجود المحسوس أو عالم الغيب،أوترتكزعلى التعامل مع الإنسان فقط وتنسى التعامل مع الله أو مع الكون،إنها ثقافة تبين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإنسان طرق التعامل مع كل جوانب الوجود بلا استثناء،فهي ثقافة تتصف بالشمول بهذا المعنى)([1]) .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله:(إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد،وهي عدل كلها،ورحمة كلها،ومصالح كلها،وحكمة كلها،فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور،وعن الرحمة إلى ضدها،وعن المصلحة إلى المفسدة،وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله عليه الصلاة والسلام، أتم دلالة وأصدقها وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها،وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها)([2]).

إن المنهج الدعوي العقلي للأنبياء كامل في شموليته، فهو شامل في تحديده للإطار العقدي والسلوكي للإنسان،وهو شامل في تناوله للأمور من جميع زواياها وأطرافها وجميع مقوماتها وأسبابها،فلا يترك جزئية من جزئيات الحياة إلا ويكون له إزاءها نظرة وحكم،ومن هنا فالمنهج الدعوي للأنبياء نظام كامل،والشريعة الإسلامية شريعة شاملة،وقد أنزل الله هذه الشريعة،فيها تبيان كل شيء يحتاج إليه الخلق في تكاليفهم التي أمِروا بها،وعباداتهم التي آمنوا وصدقوا بها.

ولذلك فإن الفكرة التي يقدمها هذا المنهج عن الحياة،لا تؤتي ثمارها في الواقع إلا إذا طُبقت تطبيقاً كاملاً،فالدعوة إلى الدين تشمل العقيدة والعبادة والسلوك،عقيدة جوهرها التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة الشرك الظاهر أو الخفي،وعبادة جوهرها الصدق و الامتثال والإخلاص،والفرائض فيها ذات وظيفة اجتماعية في النهوض بالفرد و سلوك وثيق الصلة

([1])أ.د عزمي طه السيد أحمد،**علم الثقافة الإسلامية**،الناشر:المؤسسة العربيع الدزلية،ص١٥٤

([2])محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة ج٣ ص٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالعقيدة والعبادة،وكلما كانت العقيدة سليمة،والعبادة صحيحة،كان السلوك سويا،لذلك يقول الشيخ محمود شلتوت (إذا كان المجتمع ليس في واقعه إلا الأفراد التي منها يتكون،وبها يُبنى ،وكان كماله من كمالها،فإنه من غير الممكن أن يسعد المجتمع مع شقاء الأفراد أو يشقى مع سعادتهم)([1]).

لذلك نجد أن الدعوة الإسلامية ركزت كما يقول الدكتور سيد عبد الحميد في كتاب النفس البشرية على أن (بناء الفرد كنواة صالحة من خلال الأسرة،وبناء الفرد بوصفه عاملاً أساسياً في تكوين الأسرة التي تمثل الخلايا والوحدات الرئيسية للمجتمع)([2])

المطلب الثاني:الشمولية في حياة المجتمع

وكما أن المنهج الدعوي العقلي للأنبياء جاء شاملا لكل متطلبات حياة الفرد وقناعاته،وكذلك جاء شاملا لحياة المجتمع وقناعاته،في كل جوانبه التي يحتاجها،من أساليب عقلية دامغة في الدلالة على الواحد الأحد،ومضمون للدعوة فيه صلاح الأمة ورفعتها بين الأمم التي كفرت بربها.

فمن حيث حقيقة الدعوة يقول سيد قطب رحمه الله: (كل الرسل قد أدركوا حقيقة التوحيد وكلهم بعثوا بها،ذلك أن إيقاع الناموس الواحد في كيانهم كله،هداهم إلى مصدره الواحد الذي لا يتعدد - لا يتعدد وإلا لتعددت النواميس وتعدد إيقاعها الذي يتلقونه - وكان هذا الإدراك في فجر البشرية،قبل أن تنمو المعرفة الخارجية،المبنية على الملاحظة والتجربة، وقبل أن تتكشف بعض القوانين الكونية،التي تشير إلى تلك الوحدة،وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد،دعا إلى هذه الحقيقة التي تلقاها وأمر أن يبلغها،وكان إدراكهم لها هو المنطق الفطري الناشئ من إيقاع الناموس الواحد في الفطرة الواصلة،كما كان نهوضهم لتبليغها هو النتيجة الطبيعية لإيمانهم المطلق

---

[1] محمود شلتوت،**من توجيهات الإسلام**،الناشر:دار الثقافة،الطبعة السابعة،ص١٠٣

[2])د.سيد عبدالحميد مرسي،**النفس البشرية**، الناشر:دار التراث العربي،الطبعة الأولى،ص٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكونها الحقيقة؛وبكونها صادرة إليهم من الله الواحد،الذي لا يمكن - وفق الإيقاع القوي الصادق الملزم الذي تلقته فطرتهم - أن يتعدد!)([1]).

ومن حيث الأسلوب فقد جمع أنبياء الله كل الأساليب العقلية التي يمكن من خلالها جمع الناس على دين الله،وانتقاء الطرق الأقرب للعقول في إيصال شرع الله لهم،حتى يبرؤوا إلى الله في منهجهم الدعوي،ولا تبقى أي حجة للناس على الله يوم القيامة في التبليغ.

فالدعوة في غالب الأحيان كانت جماعية وذلك بدعوة القوم دفعة واحدة،كما في الآيات بصيغة (يا قوم)،وهذا دليل على شمول الدعوة كل أفراد المجتمع ،وكذلك فيه دلالة على الرغبة العارمة لهداية القوم كلهم،ودخولهم في دين الله،وإبعاد كل مظاهر الكفر عنهم .

إن من دلالات الشمولية في المنهج الدعوي للأنبياء في القرآن الكريم سعيهم إلى إصلاح المجتمع،وإخراجه بصيغة تمثل المجتمع المسلم المتكامل الذي ينبض بدين الله في كل جوانب حياته،من تقدم حضاري ،وتميز بين الأمم ،ولنا في ذلك قول شعيب _عليه السلام_: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)([2])،هذا الإصلاح كما يقول سيد قطب (الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه؛ وإن خيل إلى بعضهم أن إتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي،ويضيع بعض الفرص،فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيع الفرص القذرة؛ويعوض عنهما كسباً طيباً ورزقاً حلالاً،ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام)([3]).

وهكذا جاء المنهج الدعوي العقلي للأنبياء مراعياً حاجات المجتمع،لإعانتهم على القيام بالواجبات التي كلفها الله للبشر،ولذلك يقول تقي الدين النبهاني: (إنّ الله تعالى خلق الإنسان،

([1]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**، مرجع سابق،ج١ ص٢٧٩

([2]) سورة هود الآية(٨٨)

([3]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،مرجع سابق،ج٤ ص١٩٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجعل فيه طاقة حيويّة تجعله مندفعاً لإشباع حاجاته وغرائزه،ولقد أدرك الإنسان منذ القدم أنّه حتّى يتمكّن من تلبية مطالبه الفطريّة لا بدّ له من الاجتماع مع غيره من الناس لتبادل المنافع والمصالح، فكان تجمّع الناس مظهراً طبيعيّاً في هذه الحياة،إلا أنّ مجرّد اجتماع الناس بعضهم ببعض لا يجعل منهم مجتمعاً،وإنّما يجعل منهم جماعة،ويبقون جماعة فقط إذا اقتصروا على مجرّد الاجتماع،فإذا نشأت بينهم علاقات دائمة لجلب المصالح ودفع المفاسد،جعلت هذه العلاقات من هذه الجماعة مجتمعاً،غير أنّ هذه العلاقات لا تجعل منهم مجتمعاً واحداً إلا إذا توحّدت نظرتهم إلى هذه العلاقات بتوحيد أفكارهم،وتوحَّدَ رضاهم عنها وسخطهم منها بتوحيد مشاعرهم،وتوحّدت معالجاتهم لهذه العلاقات بتوحيد النظام الّذي يعالجها،ولذلك كان لا بدّ من النظرة إلى الأفكار والمشاعر والأنظمة حين النظر للمجتمع،لأنّها هي التي تجعله مجتمعاً معيّناً له لون معيّن)([1]).

إن تأصيل وترسيخ الاعتقاد الصحيح من خلال المنهج الدعوي العقلي للأنبياء،من أعظم وسائل الوقاية من الانحراف الفكري لدى المجتمع،والواقع في القديم والحديث يصدق هذه الحقيقة؛إذ لا نكاد نلمس انحرافا فكريا فيمن كان لديه اعتقاد صحيح مبني على علم،فلا ضير أن يعنى الأنبياء في منهجهم الدعوي بتثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين العقلية.

المبحث الثاني:الواقعية

تمهيد:

إن الواقعية من الخصائص التي امتاز بها منهج الأنبياء العقلي في الدعوة إلى الله عز وجل،فهي كما يقول الدكتور عزمي طه(:فهي وصف للوضع الذي يراعي الواقع القائم الراهن بكل جوانبه،فيراعي واقع الفاعل في الثقافة وهو الانسان،بكل ما له من طبائع مختلفة وملكات وشهوات وقدرات)([2]) وحتى يكون الخطاب الدعوي مستساغاً ومقبولاً للعقل؛يجب أن يمس واقع المدعو وهم الناس،في مستوى تفكيره وثقافتهم ومعيشتهم،يقول الدكتور يوسف

([1]) انظر: تقي الدين النبهاني، **الدولة الإسلاميّة**، الناشر: دار الأمّة ، بيروت - الطبعة السادسة ص ٥٢

[2])أ.د عزمي طه السيد أحمد،**علم الثقافة الإسلامية**،مرجع سابق،ص١٦٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرضاوي:(فلا يتعامل مع الناس على أنهم ملائكة أولو أجنحة،بل على أنهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق،لهم غرائزهم و شهواتهم،ولهم ضروراتهم وحاجاتهم،كما أن لهم أشواقهم الروحية العليا،وتطلعاتهم إلى الملأ الأعلى،فهم خلقوا من طين وحمأ مسنون،كما أن فيهم نفحة من روح الله)([1]) ،وكذلك واقع الداعية إلى الله في جميع حالاته النفسية والانفعالية .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تأكيد لهذه الواقعية، فهو مع كونه صورة مشرقة وقمة سامقة للإسلام، إلا أنه لم ينسلخ عن بشريته يوماً من الأيام، ولم يكن و هو يزاول تعاليم الإسلام ملكاً مقرباً؛ بل كان بشراً سوياً، فعاش مع نفسه حالة الخوف والرجاء، وعانى من الفقر، و عرض له الغنى، و عاش ظروف الغربة كما عايش الأمن والاستقرار، كما مرت حياته بظروف العزلة والاختلاط، والعزوبة والزواج، وكان قائداً حربياً ومخططاً سياسياً، وأحست نفسه بآمال النصر كما أحست بآلام الهزيمة، ففرح وحزن وغضب ورضي، وهكذا كان في كل هذه الأحوال ينهج نهج الاستقامة والعدل، والذين يقرءون هذه السيرة يتبينون هذا الأمر، ويسيرون في حياتهم على نهج سيرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم،وهكذا كان في كل هذه الأحوال ينهج نهج الاستقامة والعدل، ويتعامل مع النفس البشرية بشكل واقعي، يتيح لمن بعده أن يقتدي به في كل حال من أحوال الحياة، وفي هذا المجال يجد الدارس للسيرة تلازماً بين القول والعمل، والمبدأ والسلوك، فلا يأمر الناس بالبر والخير وينسى نفسه، والذين لا تتاح لهم دراسة السيرة دراسة واعية تظهر في سلوكياتهم التناقضات، وتكثر في حياتهم المنغصات.

ومن الواقعية كما يقول الدكتور محمد يسري:(إدراك السنن الربانية في الدعوة والإصلاح،وتلمس تلك السنن في سير الأنبياء_عليهم الصلاة والسلام_ودعواتهم قال تعالى(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (آل عمران١٣٧)وقوله تعالى(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلا (٤٣ فاطر) فلا غنى بالدعوة والدعاة عن إدراك أن العاقبة للمتقين...ومن سماتها التسديد والمقاربة،ويبدو هذا المنطلق جلياًعند استعراض مناهج الدعوة ووسائلها وأساليبها،وفي حكم الدعوة نفسه،فإن من واقعية وجوبها أنها تسقط هذا الوجوب وتقسمه على أفراد الأمة كل بحسبه،فلا يقوم بهذا الدين على وجهه الأتم الأكمل إلا رسول الله_صلى الله عليه

([1])د. يوسف القرضاوي، **كيف نتعامل مع السنة النبوية؟**، الناشر:دار الشروق،الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م،ص٣٠-٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و سلم_،ثم تقوم الأمة به بمجموعها من بعده...ومن الواقعية التنو يع والتجديد والتطوير في الوسائل والأساليب الدعوية...ومن الواقعية التدرج ومراعاة ممانعة النفس البشرية،فإنها يصعب عليها التحول وترك الإلف المعتاد وإن كانت تحب الله ورسوله،وما أحسن قوله_صلى الله عليه وسلم_في الإنكار على من سب من يؤتى به في شرب الخمر كثيراًحيث قال له(لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) البخاري(٦٧٨٠))([1]) فمع أنه شارب للخمر إلا ان الذبي عليه الصلاة والسلام أدرك فيه الجانب البشري،فالصحابة ليسوا ملائكة بل هم بشر،وإن كانوا في أعلى مراتب البشر بعد الأنبياء _صلوات الله وسلامه عليهم_.

وللبيان والتوضيح حاولت إظهار الواقعية في منهج الأنبياء الدعوي العقلي،في د عوة الناس وفي تصرف الأنبياء بطبيعتهم البشرية التي يعتريها كل ما يعتري البشر من متطلبات وتصرفات.

المطلب الأول:في دعوة الناس

لا شك أن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله كان يدعوا الناس وهم على علم تام بواقعهم كبشر،لهم معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم،فكان كل نبي يدعوا قومه آخذاً بالحسبان واقعهم الذين يعيشون فيه،ولنا في السيرة النبوية خير شاهد على ذلك في الحديث الذي يرو يه البخاري(حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا حميد ابن أبي حميد الطويل:أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه و سلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه و سلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من الذبي صلى الله عليه و سلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)([2]) نلاحظ كيف أن الذبي _عليه الصلاة والسلام_راعى واقع الناس في الدعوة إلى الله،فلا هم ملائكة

---

[1])د.محمد يسري، **معالم في أصول الدعوة** ، ص(٩٠,٩١,٩٢) بتصرف

[2])صحيح البخاري،**باب الترغيب في النكاح**، ج٥ ص١٩٤٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقربـون،ولا هـم بهـائم لـيس لهـا عقـل وإدراك،فـواقعهم أنهـم بشـر،يحتاجون الـى الأكـل والشرب،والى راحة البدن وإلى تلبية غرائزهم التي فطرهم الله عليها،فكان من الواقعية أن يدعوهم لشيء تتقبله عقول البشر،ويتوافق مع رغباتهم وتطلعاتهم.

إن أي إنسان على وجه الأرض له أفكاره التي يؤمن بها،وله تصوراته التي نشأ عليها فهو مستعد للدفاع عنها بأي شكل من الأشكال،سواء كانت من الموروثات،أو من الأفكار التي اكتسبها ممن حوله،وبذالك ليس من السهل البتة تغيير فكر أو معتقد أي إنسان على وجه الأرض دون الأخذ بالوسائل والأساليب العقلية،حتى يمكننا إعادة هيكلة عقله البشري،وإيصال ما يمكن إيصاله من أفكار ومعتقدات سليمة.

ولا شك أن هناك الكثير من العوامل والأسباب التي تساعد على صعوبة تغيير ما ورثه الإنسان من معتقدات فاسدة،وتعمل على استبساله في الدفاع عنها،يقول سيد قطب ومن (هذه الأسباب سواء ما يتعلق منها بالمكانة والقيم الاجتماعية والسلطان والمال والمصالح،وما يتعلق منها بالإلف والعادة وصور الحياة التقليدية،وما يتعلق منها بالانطلاق من القيم والقيود الأخلاقية كانت قائمة في وجه الدعوة الأولى،وهي هي قائمة في وجه الدعوة في كل أرض وفي كل جيل)([1]).

فمنهج الأنبياء العقلي في الدعوة منهج واقعي،راعى ظروف الناس وواقعهم الذي يعيشون فيه،فلم يهملوا أي جانب من الجوانب،فلا هو يضع مُثلا روحانية عسيرة التطبيق، تهمل ضرورات الإنسان وواقعه المادي،وتشد الناس الى أعلى شدا بلا هوادة،ولا يلتفت إلى مطالب الجسد وعالم المادة،فيحبس الإنسان في نطاق ضروراته،ويقعد به عن التفكير في الآفاق العليا التي يتحقق فيها المثال،بل يأخذ بهذه وتلك في آن واحد علي اتساق،ومن ثم تلتقي فيه المثالية التي لا تهمل الواقع،بالواقعية التي لا تهمل المثال،ويكون من نتائجها إدراك عقلي شامل لحقيقة الدعوة،ومدى إلتزامها بواقع الناس.

([1]) سيد قطب،**في ظلال القرآن**، مرجع سابق،ج٦ ص ١٢٤٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نحن في حاجة ملحة لأن نتعرف على هذا الجيل،جيل الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم-، لنعرف مكان الأسوة لنا في واقعنا المعاصر، ولنقيس علي ضوئه مدى قربنا أو بعدنا عن حقيقة الإسلام.

فالمنهج الدعوي للأنبياء،إنما يصاغ لينزل في واقع الناس ويعايش أحداث هذا الواقع ومشاكله،بل إن المنهج الدعوي منبثق من هذا الواقع،فهو لم ينشأ من فراغ،فينبغي أن لا يطبق في فراغ،وإذا بُتِر هذا المنهج عن الواقع،فإنه يصبح في الحقيقة صورة بلا روح،لأنه يصبح عبارة عن نظريات مجردة،أو حقائق ومعارف باردة،لا نصيب لها من التنزيل عن الواقع ليتعامل معها .

المطلب الثاني:في تصرف الأنبياء كبشر

إن من واقعية المنهج الدعوي لدى الأنبياء هو تصرفهم كبشر،هذه البشرية التي تمتع بها أنبياء الله كانت من أهم جوانب إدراك العقل البشري،فالبشر لا يستطيعون التعامل والتفاهم إلا مع بشر مثلهم،ولما كان الأنبياء بشراً فقد استلزم ذلك أن يتصفوا بكل صفات البشر،فمقتضى بشرية الرسل أنهم كسائر البشر،إلا أن الله _عز وجل_ ميزهم بالوحي،وعصمهم من الخطأ في تبليغ ما أمرهم بتبليغه قولاً وعملاً، ومن تلك الصفات أنهم خلقوا من جسد كسائر البشر،تحتاج أجسادهم إلى ما يحتاجه سائر البشر من طعام وشراب واحتماء من البرد والحر والإصابة بالمرض والموت،قال الله تعالى :(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ*وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ)(١) يقول صاحب التفسير المنير(أي وما جعلنا الأنبياء ذوي جسد غير طاعمين كالملائكة،بل كانوا أجسادا يأكلون الطعام،وما كانوا مخلدين باقين في الدنيا)(٢) وقال الله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام :(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)(٣) وقد أخرج من أرضه وأهله .

---

(١) سورة الأنبياء الآيات(٧-٨)

(٢)د وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**،الناشر : دار الفكر المعاصر - بيروت ، دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ ج١٧ ص١٨

(٣)سورة الشعراء،الآيات(٧٩-٨١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وابتلي عيسى _عليه السلام_ بالكيد له لقتله،حتى رفعه الله تعالى إليه،وجعل مكانه رجلا يشبهه فصلب،وابتلي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالإيذاء الشديد من قومه،والذين أخرجوه من أهله وغير ذلك .

ومن أهم لوازم الواقعية لدى الأنبياء،أن الأنبياء ليسو بآلهة،ولا فيهم شيء من صفات الكمال الرباني،لذلك فإن الرسل-عليهم الصلاة والسلام- جميعهم لا يدعون لأنفسهم شيئا من الألوهية،ويتبرءون مما ينسب إليهم لذلك قال الله تعالى :(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ*وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)([1]).

وقال تعالى مبينا براءة عيسى ابن مريم عليه السلام مما ينسب إليه :(وَإِذ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلامُ الْغُيُوبِ*مَا قُلتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)([2]).

إن الرسل خلاصة مختارة من البشر،ولمَّا كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- هم سفراء الله تعالى إلى خلقه،يقومون بتبليغهم أوامره ونواهيه،كما قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)([3]) وجب أن يتصفوا بكل صفات الكمال الإنساني،التي تحقق المقصود من مهمتهم العظيمة في توجيه الناس إلى الله تعالى،وهدايتهم سواء السبيل،فالرسل يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره، ذلك أن الله تعالى اختارهم واصطفاهم لنفسه،فلا بد أن يختار أطهر البشر قلوبا وأزكاهم أخلاقا وأقواهم

([1]) سورة آل عمران،الآيات(٧٩-٨٠)

([2]) سورة المائدة،الآيات(١١٦-١١٧)

([3]) سورة المائدة،الآية(٦٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأكملهم عقلاً كما قال الله تعالى:(وَإِذا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ **أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ)([1]).

إن تلقي الدعوة من أنبياء لهم صفات البشر،أدعى للعقل أن يبصر ويفكر،لأن ذلك أقرب للواقع من دعوة تخرج للناس من غير البشر،فواقع الأنبياء كواقع البشر الذين أرسلوا إليهم،لهم شعور وأحاسيس،ولديهم تطلعات للمستقبل،لهم ولأقوامهم،كان من كل ذلك مجتمعاً تشكيل دعوة ذات طابع واقعي،وعلى سبيل المثال: تحفظ لنا نصوص السيرة قصته مع عبد الله بن أم مكتوم ، قال الله تعالى عنها (عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)([2]) يتجلى لنا موقف النبي _صلى الله عليه وسلم_ كيف تصرف تصرف البشر،وكيف جاء عتاب الله_عزوجل_له ،فبين ذلك التصرف أنه تصرف بأصله البشري،واختار في تصرفه خلاف الأولى.فجاء عتاب الله_عزوجل_له،و هذا دليل على اتصافهم بأفعال البشر،فهم ليسوا ملائكة يمشون على الأرض،بل إنهم بشر قد يعتريهم ما يعتري البشر من تصرفات وأعمال ويأتي الوحي للتصحيح والتوجيه.

المبحث الثالث: التوازن

تمهيد:

إن التوازن مطلب أساسي في حياة الإنسان،فهو سنة الله في كونه،قال تعالى:(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب)([3]) ،وكذلك فهو سنة الله في إيجاب الأعمال على خلقه،قال تعالى:(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا)([4]) فمنهج الأنبياء العقلي في الدعوة متوافق مع حاجات البشر المادية والروحية،فهو منهج نابع من العقيدة الاسلامية والتي من أهم خصائصها كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي(فهو يوازن بين الروح والجسم،بين العقل والقلب،بين الدنيا والآخرة،بين المثال والواقع،بين النظر والعمل،بين الغيب والشهادة،بين الحرية والمسؤولية،بين الفردية والجماعية،بين الإتباع

([1]) سورة الأنعام،الآية(١٢٤)

[2])سورة عبس(الآية ١_٣)

([3])سورة آل عمران،الآية(١٩٠)

([4]) سورة القصص،الآية(٧٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإبتداع)([1]) متكامل في طرائقه بين الخوف والرجاء،لأنه يعتمد في أسلوب طرحه على بناء الفرد بناءاً أخلاقياً وروحياً وتربوياً، ويأمره بأن يفتح عقله على آفاق الحياة في شتى جوانبها.

وفي السنة النبوية يتضح لنا منهج النبي _عليه الصلاة والسلام_ في التوازن في حياة الفرد المسلم كما في صحيح البخاري:(حدثنا محمد بن بشار حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : آخى النبي صلى الله عليه و سلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء،فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك ؟ . قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال: كل قال: فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال نم فنام ثم ذ هب يقوم فقال نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصليا فقال له سلمان: **إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه** فأتى النبي _صلى الله عليه_ و سلم فذكر ذلك له فقال النبي _صلى الله عليه و سلم_ :صدق سلمان))([2]).

ومن هذه المقدمة سنعرض ما تميزت به دعوة الأنبياء من توازن بين المتطلبات المادية والروحية،وما بين الخوف والرجاء.

المطلب الأول:بين المتطلبات المادية والروحية

إن من أهم سمات دعوة الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم-أنها وازنت بين المتطلبات المادية والروحية لدى البشر،فالتوازن كما يقول صاحب كتاب علم النفس التربوي في الإسلام(عنصر أساسي في بناء النفس الإنسانية)([3])،فكان الأنبياء جميعهم يسعون إلى التوازن المطلق بقدر ما تطيقه طبائع البشر،فيوازنون أولاً في نفس الفرد بين حاجات الجسد،كما في دعوة سيدنا لوط عليه السلام عندما حث قومه على الزواج لتلبية حاجات الجسد بدلاً من الشذوذ،وحاجات

([1])**كيف نتعامل مع السنة النبوية؟**،د.يوسف القرضاوي،مرجع سابق،ص٢٧.

([2]) البخاري،**الجامع الصحيح**،مصدر سابق،باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له،رقم الحديث١٨٦٧ ج٢ ص٦٩٤

[3])أنظر:أ.دمقداد يالجن،أ.د يو سف القاضي،**علم النفس التربوي في الإسلام**،الناشر:دار عالم الكتاب،الطبعة الثانية ،ص١٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقل كما في قصة إبراهيم عليه السلام في إقناع قومه وأبيه بالحجج العقلية الدامغة،وحاجات الروح كما في دعوة الأنبياء جميعهم للاتصال بالله الواحد الأحد،والإيمان به ربا وإلها،فلا يترك جانبا منها يطغى على جانب آخر .

ولنا في ذلك خير مثال من حياة النبي_عليه الصلاة والسلام عندما كان يلهوا مع عائشة رضي الله عنها كما ورد في سنن النسائي (أخبرني علي بن محمد بن علي المصيصي قال نا سعيد بن المغيرة أبو عثمان الصياد في كتاب السير قال نا الفزاري عن هشام بن عروة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال أخبرتني عائشة أنها : كانت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر وهي جارية فقال لأصحابه تقدموا ثم قال تعالي أسابقك فسابقته فسبقته على رجلي فلما كان بعد خرجت معه في سفر فقال لأصحابه تقدموا ثم قال تعالي أسابقك ونسبت الذي كان وقد حملت اللحم فقلت كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال فقال لتفعلن فسابقته فسبقني فقال هذه بتلك السبقة)([1]) فقد وازن _عليه الصلاة والسلام_بين متطلبات أسرته من الدعوة والإرشاد الى دين الله عزوجل،وبين ما يطلبه أهله ونسائه خاصة من لهو ولعب،فلم يطغى جانب على آخر في حياة النبي،بل كان يراعي حاجات ومتطلبات أهله،فكان مثالا يقتدى به في التوازن،فلا يكبت الطاقة الحيوية في سبيل الارتفاع بالروح،ولا يبالغ في الاستجابة لشهوات الجسد إلى الحد الذي يهبط بالإنسان إلى مستوى الحيوان،ويجمع بين ذلك كله في نظام موحد لا يمزق النفس الواحدة بين الشد والجذب،ولا يوجهها وجهات شتى متناقضة .

ثم يوازن بين مطالب الفرد ومطالب المجتمع،فلا يطغى فرد على فرد،ولا يطغى الفرد على المجتمع،ولا المجتمع على الفرد،ولا طبقة على طبقة،ولا أمة على أمة،وإنما يقفون بين هؤلاء جميعا،ويدعونهم جميعا إلى التعاون في سبيل الخير الإنساني،فالسعادة كما يقول الشيخ محمود شلتوت(لا تتحقق سعادة الإنسان إلا باستكمال حظي الجسم والروح،وتنظيم حقوقه وواجباته في نفسه وفي مجتمعه دون إفراط أو تفريط)([2]) .

---

[1]) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن الذسائي، **سنن الذسائي الكبرى**،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١ تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن عدد الأجزاء : ٦ باب مسابقة الرجل زوجته ج٥ ص٣٠٤

([2])محمود شلتوت،**من توجيهات الإسلام**، مرجع سابق،ص١٠٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم هو أخيراً يوازن في نظام المجتمع بين مختلف القوى،يوازن بين القوة المادية والقوة الروحية،وبين العوامل الاقتصادية والعوامل الإنسانية،فلا يعترف بأن العوامل الاقتصادية أو القوى المادية هي وحدها المسيطرة على الإنسان،ولا يؤمن بأن العوامل الروحية أو المثل العليا تستطيع وحدها أن تنظم حياة البشر،وإنما باجتماع العناصر المختلفة يتكون من مجموعها الإنسان،وبذلك ينعم الإنسان بالإرادة والحرية والتفكير والعمل في إطار من الإيمان والأخلاق القائمة على العدل والأمن والاستقرار والرحمة والمحبة.

إن المنهج الدعوي العقلي الأفضل هو المنهج الأشمل،الذي يستجيب لمطالب الجسد ومطالب العقل ومطالب الروح في توازن واتساق،لا سيما أن الجانب الروحي كما يقول صاحب كتاب علم النفس التربوي في الإسلام (يهدف إلى صعود الإنسان بروحه واتصاله بالله،لكن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بتسامي الإنسان على الرذائل وتخليه عنها،ثم تكامله بالفضائل الأخلاقية،وبعدما يتكامل بتلك الفضائل،وبقدر ما يتقدم في عمل الخيرات للناس خالصاً لوجه الله،بقدر ما يقترب من الله،ويزداد إرتباطه به)([1]) .

إن أية دعوة تهمل الجوانب الأخلاقية والروحية لا قيمة لكل ما تنجزه في ميزان العقلاء،فالدعوة التي تهمل الجوانب الأخلاقية والروحية إنما تحكم على نفسها بالفناء العاجل أو الآجل،كما في الأقوام التي رفضت دعوة أنبيائها،وآثرت التعنت والثبات على معتقداتها،فكانت النهاية التي هي المصير الحتمي،كما في قوم لوط وقوم نوح وقوم شعيب،وغيرهم من الأمم التي بنت أفكارها ومعتقداتها على جانب من تلك الجوانب وأهملت الجوانب الأخرى،فالتوازن كما يقول الشيخ محمد الغزالي(أمر ضرورى فى كثير من الصفات الأخرى، هو ضرورى فى الواقعية والخيال،فإن زادت الواقعية على الحد الواجب،كان ذلك جمودا وضيقا في الأفق،وإن زاد الخيال كان ذلك ميوعة وإغراقا فى البعد عن الحقائق .)([2]) .

([1])أ.د مقداد يالجن،أ.د يوسف القاضي،**علم النفس التربوي في الإسلام**،مرجع سابق،ص٣٣٤

([2]) محمد الغزالي،**مع الله دراسات في الدعوة والدعاة** ،مرجع سابق ص٣٧٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا التوازن بين المتطلبات المادية والروحية حقيقة لا يمكن تجاهلها،فحياة الإنسان كما قال الشيخ محمد الغزالي (تحكمها القوى الروحية والقوى المادية معا، ولا سبيل للفصل بينهما، فكلتاهما ضرورية لقيام المجتمع السليم.)([1]) .

يقول محمد شيخاني صاحب كتاب التربية الروحية(إن العلم إذا لم يقرن بالتزكية النفسية والتربية الروحية هو علم جاف،يبعد صاحبه عن الاستمرار في الطاعة والولوغ في أعماق النصوص ولتقوي إرادته في الالتزام بأوامر الله عز وجل والبعد عن ما نهى عنه)([2]).

المطلب الثاني: بين الخوف والرجاء

إن من الخصائص التي ميزت منهج الأنبياء الدعوي العقلي –صلوات الله و سلامه عليهم_ التوازن بين الخوف والرجاء،والذي كان ثمرة لمنهج الترهيب والترغيب،فمن الأنبياء من غلب جانب الخوف على الرجاء في حق الصحيح العاصي،ومنهم من غلب الرجاء على الخوف في حق المريض الذي يخاف الهلاك أو من يخاف الموت،ومنهم من يساوي بين الخوف والرجاء فنظر إلى حال المسددين المسارعين في الخيرات،و هؤلاء ينبغي أن يكون خوفهم ورجاؤهم واحداً، فأيهما غلب أهلك صاحبه،لأنه إن غلب جانب الرجاء صار من الآمنين من عذاب الله،وإن غلب جانب الخوف صار من القانطين من رحمة الله،وكما يقول صاحب تفسير السراج المنير(أن الإنسان يطير إلى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجاء،والرهبة والرغبة،والنذارة والبشارة)([3]).

وفي هدي النبي _عليه الصلاة والسلام_ يظهر كيف وازن بين جانبي الخوف والرجاء فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – (لو تعلمون قدر سعة رحمة الله لاتكلتم عليها، وما عملتم إلا قليلا،ولو تقدرون قدر غضب الله- أو

([1]) محمد الغزالي، **معركة المصحف في العالم الإسلامي**، الناشر : دار نهضة مصر الطبعة : الأولى ص٢٥٤

([2])محمد شيخاني،**التربية الروحية بين الصوفيين والسلفين**،الناشر:دار قتيبة،الطبعة الأولى ص٤٨

([3])محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، **تفسير السراج المنير**، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء / ٤ ص٣٢٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قدر عذاب الله- لظنتم أن لا تنجوا ولا ينفعكم منه شيء)([1])،فجعل قلوب أصحابه متعلقة برحمة الله_عزوجل_ لحثهم على فعل الطاعات،وفي نفس الوقت التذكير بعذاب الله لحثم على البعد عن كل ما يغضب وجه الله _عز وجل_.

فلا يتصور دعوة إلى الله دون إبراز نواحي الخوف والرجاء،وكما يقول صاحب كتاب إيثار الحق على الخلق (أن العقلاء إذا علموا أن الله ما يخلق إلا سعيدا غير معذب تجرؤا على الفساد والفسوق)([2])،فكان من دواعي العقل البشري حتى تتزن الدعوة إلى الله،أن يصبح العقل بين كفتي الخوف والرجاء، (فالجمع بين الخوف والرجاء سنة الله وسنة رسله عليهم السلام وسنة دين الإسلام ([3]).

إن من عقيدة الداعية إلى الله أن يكون قلب الإنسان كما يقول الزمخشري في تفسيره(متأرجحاً بين الخوف والرجاء)([4])؛ الخوف من عذاب الله، والرجاء برحمة الله،ونتيجة هذا أن الإنسان لا يأمن من عذاب الله ومن مكره،ولا ييئس من روح الله ولا يقنط من رحمته، بل يجمع بينهما،ويكون ذلك في نفسه وكذلك في غيره،ففي نفسه يخاف،يقول:إنني مذنب، وإذني مقصر،وأخاف على نفسي من عذاب الله،وأخاف من مقته،ولكن لا يحمله هذا الخوف على القنوط،بل يضيف إلى الخوف الرجاء،فالإنسان كما يقول الشيخ محمد الغزالي (محتاج دائما إلى منشطات الأمل وكوابح الغرور، فإن يأسه من النجاح يقوده إلى السقوط، واغتراره بما عنده يمنعه السبق)([5]) .

إن من نتائج الدعوة إلى الله تعظيم جانب الخوف والرجاء لدى الناس،فلا بد من التوازن بينهما،فلا يكفي الاقتصار على واحد منهما فقط،كما قال تعالى في وصف أنبيائه: (إنهم كانوا

---

[1]) مسند ابن أبي شيبة

([2])محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد**، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ص ٢٦٢

([3])أنظر: المرجع السابق،ص٣٥٤

([4])أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**،مصدر سابق،ج٤ ص٦١٥

([5]) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي ،الناشر : دار نهضة مصر الطبعة : الأولى ص٣٥٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا)([1])، وكما يقول تاج الدين السبكي(فأصل الطاعة الورع وأصل الورع التقوى وأصل التقوى محاسبة النفس وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء وأصل الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد)([2]).

---

[1]) سورة الأنبياء،الآية(٩٠)

([2]) تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو،دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ الطبعة : الثانية عدد الأجزاء / ١٠ ج٢ ص٢٨٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: اليسر

تمهيد:

ومن خصائص المنهج الدعوي العقلي للأنبياء في القرآن الكريم انه منهج يسير في الإدراك والفهم على المخاطبين،فهو منهج واضح المعالم،لا لبس فيه ولا غموض،فهو جلي ليس بحاجة إلى تفسير.

وكذلك فهو منهج ميسر من حيث التطبيق العملي له،فلا يصعب على الدعاة إذا ما تعلموا وفهموا منهج الأنبياء في الدعوة أن يطبقوه في حياتهم،وبين مجتمعاتهم،وللتوضيح قمت بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين،الأول:اليسر في الإدراك والفهم ،والثاني:اليسر في التطبيق.

المطلب الأول: في الإدراك والفهم

لا شك أن الناظر في نصوص القرآن الكريم،يستنتج أن دعوة الأنبياء _عليهم السلام_ كانت من اليسر بمكان،بحيث يستطيع كل من يسمعها أو يشاهدها أن يدركها ويفهمها،ويربط بين مضامينها،وما ترمي إليه،والمبادئ والقيم التي تحتويها،فهي منسَّقة بشكل يتلاءم مع حدود الفهم والإدراك،فهي ليست طلاسم ورموزا بحاجة إلى تفكيك وتفسير وإعادة صياغة،بل هي دعوة يسيرة على الإدراك والفهم.

ولا أدل على ذلك من سيرة المصطفى _عليه الصلاة والسلام_في الحديث الذي يرويه البخاري: (حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري، وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة أخبره:أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم (دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)([1])،فلم يتطلب ذلك القول من النبي طول تفكير من الأعرابي الجاهل في أمور دينه،وإنما سر من كلامه وأعجب به حتى

---

[1]) **صحيح البخاري**،(مصدر سابق) باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (يسروا ولا تعسروا)،ج٥ ص٢٢٦٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال:(اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا احداً)([1]) قالها لإدراكه عظمة هذا الدين وعظمة رسوله _صلى الله عليه وسلم_ ففهم كلام النبي دون تبيين وتوضيح،فكان منه اثناء على النبي - عليه الصلاة والسلام_.

إن من اليسر في دعوة الأنبياء أنها جاءت ملائمة في جميع حيثياتها لكل العقول،بحيث لا تجد عقلاً في القرآن الكريم إلا وتجد ما يناسبه في أسلوب الدعوة،فهناك :

١_عقول ربانية، وهؤلاء هم الذين جعلوا همهم الآخرة،فآمنوا بدعوة أنبيائهم،إذا قاموا فمن أجل الدين،وإذا ما قعدوا فمن أجله كذلك،وهذه العقول هي عقول المؤمنين في كل الشرائع،ومصلحي الأمم ،أولئك الذين استخدموا عقولهم وسخروها فيما يرضي الله _ عز وجل_،وجعلوا كل تفكيرهم فيما ينفع الأمة،ويصلح من أحوالها،ويغيّر حالها،فهذه الفئة لاشك أنهم أفضل الناس للناس،إنهم لا يعيشون لأنفسهم،إنما يعيشون لغيرهم،وكم هي المنة من الله والخير لهذا الإنسان الذي قد وهب عقله وسخره لتطبيق دين الله في الأرض .

٢_ومنها عقول حيوانية، وهؤلاء قد مُنحوا عقولاً وتفكيراً وذكاء، لكن اهتماماتهم هي نفس اهتمامات الحيوان الأكل والشرب والتكاثر،فكان لهم أسلوباً ومنهجاً خاصاً بهم،فهذه العقول تعيش لنفسها ،ولا تفكر إلا في ذاتها.

٣_ومنها عقول عدوانية،وهم الذين قد سخروا عقولهم وذكاءهم ونباهتهم في محاربة الدين، والصد عن سبيل الله ،ووقفوا ضد تيار الإصلاح،وهؤلاء على درجات وأصناف منهم الحاقد، ومنهم الخبيث، ومنهم المنافق اللئيم،يتظاهر بالصلاح والإصلاح وهو من أشد أعداء الإصلاح،وبين كل درجة ودرجة من هؤلاء أقسام وأقسام،كل بحسبه،الجامع بينهم هو تحريك هذه العقول وتوظيفها في مقاومة ومحاربة الدعوة من الانتشار،ومنع الصحوة من التمدد.

على أثر ذلك جاء الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم-بمنهج يسير الإدراك والفهم للناس كلُ حسب عقله،لينشأ لنا في القرآن من قصصهم منهج عقلي في الدعوة إلى الله إلى يوم الدين.

---

[1]) **صحيح البخاري**،باب رحمة الناس والبهائم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني:في التطبيق

إن الناظر في قصص القرآن الكريم،والمتفحص للأحوال والظروف التي مرت بها دعوة الأنبياء،يجد أن من السهل بمكان على الدعاة تطبيق هذا المنهج النبوي في أي زمان ومكان،إذا فهموا ووعوا كل مفردات وقواعد هذه الدعوة،فهذا من مقتضيات خلود القرآن الكريم،فهو للبشرية جمعاء،وجاء ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم ليقتدي به الناس إلى يوم الدين،ومن ضروريات الإقتداء اليسر في التطبيق العملي للدعوة والتي تمثلت بجيلها الأول الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-إذ لا يعقل أن يطلب من المسلمين الإقتداء بأنبيائهم،ومنهج التطبيق معقد وصعب بحيث لا يمكن تطبيقه.

ومن هديه _صلى الله عليه وسلم_كما ورد في البخاري ومسلم (حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد أخبرنا سليم حدثنا عمرو بن دينار حدثنا جابر بن عبد الله:أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع النبي صلى الله عليه و سلم ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة فقرأ بهم البقرة قال فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة فبلغ ذلك معاذا فقال إنه منافق فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي _صلى الله عليه وسلم_ فقال يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا وإن معاذا صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوزت فزعم أني منافق فقال النبي صلى الله عليه و سلم (يا معاذ أفتان أنت - ثلاثا -اقرأ { والشمس وضحاها }،و { سبح اسم ربك الأعلى}.ونحوها)([1])،في هذا الحديث يتبين كيف أن النبي _عليه الصلاة والسلام_حث معاذا رضي الله عنه على حسن التطبيق لمنهج النبي -عليه الصلاة والسلام_ في اليسر في أداء العبادات،والبعد عن التشدد الذي يمقته الناس،لأن ذلك أدعى للتقرب من الناس وعدم تنفيرهم.

وكذلك ولا أدل على اليسر في التطبيق للدعوة الإسلامية،النتائج التي أثمرت عنها من انتشارها في كافة بقاع الأرض،فترى الرجل لا يتكلم اللغة العربية ينطق بكلمة التوحيد،ليسر فهم الدعوة،ويسر التطبيق من الدعاة الذين تشربوا روح الدين،وفهموا غايته ومراميه،فالدعوة إلى الله وسيلة غايتها إيصال الناس إلى عبادة الواحد الأحد،والتخلص من التوجه والعبادة لغير الله.

([1]) البخاري ومسلم باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن من اليسر في المنهج الدعوي العقلي أن الداعية مطالب بالتطبيق السليم،والفهم الصحيح، فهو غير مسؤول عن نتائج وثمار دعوته،فقد يطبق منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله،كما ورد في القرآن الكريم ويتوخى كل كبيرة و صغيرة ولكن في نهاية الأمر لا يجد من يستمع إليه،أو يؤمن بما يدعو،و هذه سنة الله في خلقه لقوله تعالى:(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)([1])،فالداعية عليه بالعمل كما أراد الله _ عز وجل_،والأخذ بكل الأسباب التي تجعل من الدعوة عملاً مباركا يرتضيه الله _تبارك وتعالى_،أما النتائج فيترك أمرها إلى الله فهو أعلم بشؤون عباده.

[1])سورة القصص،الآية(٥٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،الحمد لله الذي أنعم علي بالتوفيق لإتمام هذه الرسالة،التي تحمل بين ثناياها العديد من الأفكار التي أحببت أن أبرزها،وبعد انتهاء البحث و عرض الأفكار التي كانت تجول في خاطري في المنهج الدعوي العقلي للأنبياء وخصائصه في القرآن الكريم توصلت إلى أهم النتائج التي أريد عرضها وهي:

أولا:أن الأنبياء جميعهم بشر مرسلون من الله عز وجل بتبليغ دينه للناس مع التأكيد على أن الأنبياء قد يتصرفون في الدعوة إلى الله بكامل طاقاتهم العقلية،التي منحها الله لهم دون الرجوع إلى وحي مباشر من الله عز وجل يخبرهم ماذا يقولون أو ماذا يتصرفون.

ثانياً:أن جميع أشكال الدعوة إلى الله مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالعقل،فالإيمان بالله وبدينه مبني على قناعات عقلية لدى الإنسان،وإن اختلفت المناهج وتعددت،لأن العقل هو مناط التكليف.

ثالثاً:أن الدعوة إلى الله مشتملة على القول والفعل والتطبيق لشرع الله عز وجل،فرُب ساكتٍ لم ينطق بكلمة،ولسان حاله يعرض الصورة المشرقة عن دين الله،وهذا ما سميته بالدعوة الصامتة.

رابعاً:ضرورة الموازنة وعدم التفريق بين أسلوب الدعوة إلى الله وبين عرض مضمونها،حيث أن المسلم الذي نشأ في بيئة إسلامية ليس كالمسلم الذي نشأ في بيئة غير إسلامية،فكل له أسلوب في الدعوة يناسبه،وله منهج خاص في عرض الدين عليه من حيث العقائد والأحكام.

خامساً: أن الأنبياء هم أفضل خلق الله عقلاً وخلقاً في تبليغ دين الله _عز وجل_ للناس، وكانوا المثل الحي في احترام العقل الذي خلقه الله ورفع مكانة الإنسان به،فاستخدموا كل الطرق والوسائل التي تجذب عقول الناس إليهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً:أن منهج التحليل العقلي ومنهج الاحتواء ومنهج التدرج ومنهج الترهيب والترغيب ومنهج القدوة الحسنة،هي أهم المناهج العقلية التي عرضت في قصص الأنبياء في القرآن الكريم،وعليه فهي القواعد الرئيسة التي يجب على الدعاة الأخذ بها في الدعوة إلى دين الله _عز وجل_.

سابعاً:أن من أهم الخصائص التي تميز بها المنهج العقلي للأنبياء في القرآن الكريم هي الشمولية لكافة متطلبات الأفراد والمجتمعات،والواقعية في دعوة الناس وفي تصرف الأنبياء كبشر وما لهم من طباع تشابه البشر،والتوازن لدى متطلبات الإنسان المادية والروحية،وكذلك بين الخوف والرجاء،ومن الخصائص التي تميز بها اليسر في الإدراك والفهم فليس رموزاً أو أحاجي يصعب فكها وفهمها،وكذلك اليسر في التطبيق العملي لهذا المنهج الدعوي العقلي .

والحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات

هذه الرسالة اشتملت على أهم المناهج العقلية التي اتبعها الأنبياء في الدعوة إلـــى الله _عز وجل_،فعلى الباحثين والمهتمين في مجالات الدعوة إعادة النظر فيما يدرس من منـــاهج في الدعوة إلى الله والنظرة إليها نظرة شمولية من النبع الأول القرآن الكريم والسنة النبويـــة المطهرة،لما فيها من التجسيد الواقعي للدعوة إلى الله في سيرة المصطفى _صـــلى الله عليـــه وسلم_ والتي لم يتسن لي عرضها لضخامة مادتها،فأرجو من الله العلي العظيم أن يسخر لهذه التوصيات طلاب علم يبحثون في السنة النبوية ويستخرجون منها مناهج عقلية للنبي _عليـــه الصلاة والسلام_،ويضيفون على ما قد كتبته في هذه الرسالة التي أسأل الله أن يجعلهـــا فـــي ميزان حسنات كل من ساهم فيها،وكيفية فهم سلفنا الصالح لمناهج الدعوة في القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This thesis consists of three chapters introduction conclusion and recommendations.

The first chapter deals with the most important terms which are used in this work for example the term of intellectual method prophets and so forth.

The second chapter deals with methods of prophets in calling to Islam.

The third chapter deals with the characters of the methods of the prophets.

The most important result appeared in this academic work that the prophets during their preaching they used to follow the intellectual styles to convince the people in their massage.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

قائمة المصادر

١)أبي منصور الماتوريدي،كتاب التوحيد،تحقيق:فتح الله خليف،الناشر: دار الجامعات المصرية.

٢)إبن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية،دار النشر:المكتب الاسلامي –بيروت ،ط٤ ١٣٩١ه.

٣)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية الناشر : مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ تحقيق : د. موسى سليمان الدويش.

٤)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس درء تعارض العقل والنقل،ت٧٢٨ الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض ، ١٣٩١تحقيق : محمد رشاد سالم.

٥)أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، قاعدة في المحبة الناشر : مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

٦) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة .

٧)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،الذبوات، دار الفكر اللبناني بيروت ١٩٩٢،الطبعة الأولى.

٨) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني أبو الفضل ،فتح الباري شرح صحيح البخاري، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار الفكر.

٩) أحمد بن فارس بن زكريّا(أبي الحسين) مقاييس اللغة المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون الناشر : اتحاد الكتاب العرب الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.

١٠)أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي الكبرى الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١ تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيدكسروي حسن عدد الأجزاء : ٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم المحقق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١٢)تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو،دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ الطبعة : الثانية.

١٣)الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه الناشر : دار الكندي ، دار الفكر – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٨تحقيق : حسين القوتلي.

١٤) الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم مفردات ألفاظ القرآن دار النشر دار القلم - دمشق.

١٥) شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري التبيان في تفسير غريب القرآن الناشر : دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي .

١٦)عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي العقل وفضله الناشر : دار الراية – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ تحقيق : لطفي محمد الصغير.

١٧)عبد بن حميد بن نصر ، المنتخب من مسند عبد بن حميد الناشر : مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي.

١٨) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

١٩)علي بن محمد الماوردي(أبي الحسن)،أدب الدنيا والدين تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الرابعة،شركة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٩٣هـ.

٢٠)علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، الذكت والعيون ،ت٤٥٠ه،دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ١٩٩٠- تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١)علي بن محمد بن علي الجرجاني،التعريفات ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥،تحقيق : إبراهيم الأبياري.

٢٢)مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.، ١٤٠٣هـ.

٢٣)محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي-إبن الوزير، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية.

٢٤)محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الناشر : دار المعرفة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ تحقيق : محمد حامد الفقي.

٢٥)محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥ه – ١٩٩٥م تحقيق : محمود خاطر.

٢٦)محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ،أعلام الموقعين عن رب العالمين،تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة.

٢٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي الجامع لأحكام القرآن المحقق : هشام سمير البخاري الناشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

٢٨)محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر،الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق،مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا.

٢٩)محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٠) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٣١)محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.

٣٢)أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م الطبعة : الأولى تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.

٣٣) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي،مفاتيح الغيب، عدد الأجزاء / ٣٢ دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

٣٤)محمد بن محمد الغزالي أبو حامد احياء علوم الدين الناشر : دار االمعرفة – بيروت.

٣٥)محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الناشر : الجفان والجابي – قبرص الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي.

٣٦) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري لسان العرب الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

٣٧) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تفسير البحر المحيط دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة : الأولى ،تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض .

٣٨)أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٩)مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٠)أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي سنن النسائي الكبرى الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩١تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن

قائمة المراجع

٤١)إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات،حامد عبد القادر،محمد النجار، المعجم الوسيط ،دار النشر : دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٤٢)احمد علي بديوي،الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد ،القاهرة .الطبعة الأولى،١٩٩٥م.

٤٣)أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح،الناشر : المكتبة العلمية – بيروت.

٤٤)تقي الدين النبهاني، الدولة الإسلاميّة،الناشر: دار الأمّة ، بيروت - الطبعة السادسة.

٤٥)تيسير خميس العمر،حرية الإعتقاد في ظل الإسلام،الناشر:دار الفكر-دمشق،الطبعة الأولى.

٤٦)د.زياد الدغامين، نحو منهجية منضبطة لتفسير القرآن الكريم،بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات،المعهد العالمي للفكر الاسلامي –الأردن،الطبعة الأولى ١٤١٥ه-١٩٩٤م.

٤٥)سعيد بن علي بن و هب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ط ١ الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تاريخ النشر : ١٤٢١هـ .

٤٦)د.سيد عبدالحميد مرسي،النفس البشرية،الناشر:دار التراث العربي،الطبعة الأولى.

٤٧)سيد قطب ، في ظلال القرآن،دار الشروق بيروت- القاهرة ،الطبعة الحادية عشر،١٤٠٥ه-١٩٨٥م.

٤٨)سيد قطب،مقومات التصور الإسلامي، الناشر:دار الشروق - القاهرة،الطبعة الأولى.

٤٩)د.عبد المجيد النجار،خلافة الإنسان بين الوحي والعقل،الناشر:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،الطبعة الثانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٠)د.عبد الحميد أحمد أبو سلميان،أزمة العقل المسلم،الناشر:الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

٥١)عدنان بن محمد آل عرعور،منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

عزمي طه السيد أحمد،علم الثقافة الاسلامية،المؤسسة العربية للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى ٢٠٠٨

٥٢)د.علي عبد الحليم محمود،فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم،الناشر:دار التوزيع والنشر الإسلامية،الطبعة الأولى.

٥٣)د.علي عمر باداح، مقومات الداعية الناجح ،دار الأندلس الخضراء-السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤١٧ه،١٩٩٦م.

٥٤)غازي صبحي،القرآن منهاج حياة،الناشر: دمشق ،الطبعة الأولى.

٥٥)د.كمال محمد عيسى،مفاهيم إيمانية،الناشر:النادي الأدبي الثقافي-جدة.

٥٦)د.مأمون صالح،الشخصية بناؤها،تكوينها،أنماطها،اضطراباتها،دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان الاردن،الطبعة الأولى٢٠٠٨م.

٥٧)محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م.

٥٨)محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، تفسير السراج المنير، دار النشر/ دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٩)د.محمد أحمد عبدالقادر،ملامح الفكر الإسلامي،الناشر:دار المعرفة،١٩٩٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٠)د.محمد الدسوقي،منهج البحث في العلوم الإسلامية،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – الدوحة،قطر،الطبعة الثانية ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

٦١)محمد سعيد رمضان البوطي،كبرى اليقينيات الكونية،الناشر:دار الفكر-دمشق،الطبعة الثامنة.

٦٢)محمود شلتوت،من توجيهات الإسلام،الناشر:دار الثقافة،الطبعة السابعة.

٦٣)محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ،التونسي التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ط : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦٤)د.محمد عبدالمنعم القيعي،الإسلام تعقل واستنباط،الناشر:مطبوعات الشعب.

٦٥)محمد عبده،تفسير القرآن الحكيم المشهور (بالمنار)، الناشر: دار المنار،الطبعة الثانية،١٣٦٦ه-١٩٤٧م.

٦٦)محمد الغزالي،خلق المسلم،الناشر:دار القلم-دمشق،الطبعة الخامسة عشرة،١٤٢١ه-٢٠٠٠م.

٦٧)محمد الغزالي،كيف نتعامل مع القرآن،الناشر:المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.

٦٨)محمد الغزالي،مع الله دراسات في الدعوة والدعاة،الناشر:دار الثقافة-الدوحة.

٦٩)محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي الناشر : دار نهضة مصر الطبعة : الأولى.

٧٠)محمد الغزالي،في موكب الإيمان،الطبعة الأولى،دار نهضة مصر،١٩٩٧م.

٧١)محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي ،الناشر : دار نهضة مصر الطبعة : الأولى.٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٢)د.محمد منير حجاب،تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر،الناشر:دار الفجر،الطبعة الأولى.

٧٣)محمد نعيم ياسين،الإيمان أركانه حقيقته نواقضه،الطبعة الأولى،دار النشر جمعية عمال المطابع التعاونية،عمّان،١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.

٧٤)د.محمد يسري، معالم في أصول الدعوة،دار الفكر،الطبعة الأولى.

٧٥)معروف زريق،علم النفس الإسلامي،الناشر:دار المعرفة،الطبعة الأولى.

٧٦)أ.دمقداد يالجن،أ.د يوسف القاضي،علم النفس التربوي في الإسلام،الناشر:دار عالم الكتاب،الطبعة الثانية .

٧٧)مناع القطان،مباحث في علوم القرآن،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الطبعة الثالثة.

٧٨)د.نبيلة عباس الشوربجي،د.عفاف دانيال،علم النفس والشخصية،الناشر:مكتبة زهراء الشرق،الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

٧٩)د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،الناشر : دار الفكر المعاصر - بيروت ، دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٨٠)د.يوسف القرضاوي،الإيمان والحياة،الناشر:مكتبة وهبة-القاهرة،الطبعة التاسعة.

٨١)محمد قطب،واقعنا المعاصر،مؤسسة المدينة للنشر - جدة،الطبعة الأولى.

٨٢)عزمي طه،علم الثقافة الإسلامية،المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى٢٠٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com